وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل ط1: 20084053023

رقم التسجيل ط2: 20064093852

سياسة جماعة الاتحاد والترقي في البلاد العربية 1908-1918م

مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر.

إعداد الطالبتين:

سلمانية إيمان

شاكي سميحة

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1		أستاذ محاضر –أ–	محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
2	د. حسين محمد شريف	أ.ت.ع	محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
3		أستاذ محاضر –أ–	محمد بوضياف المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022/2021

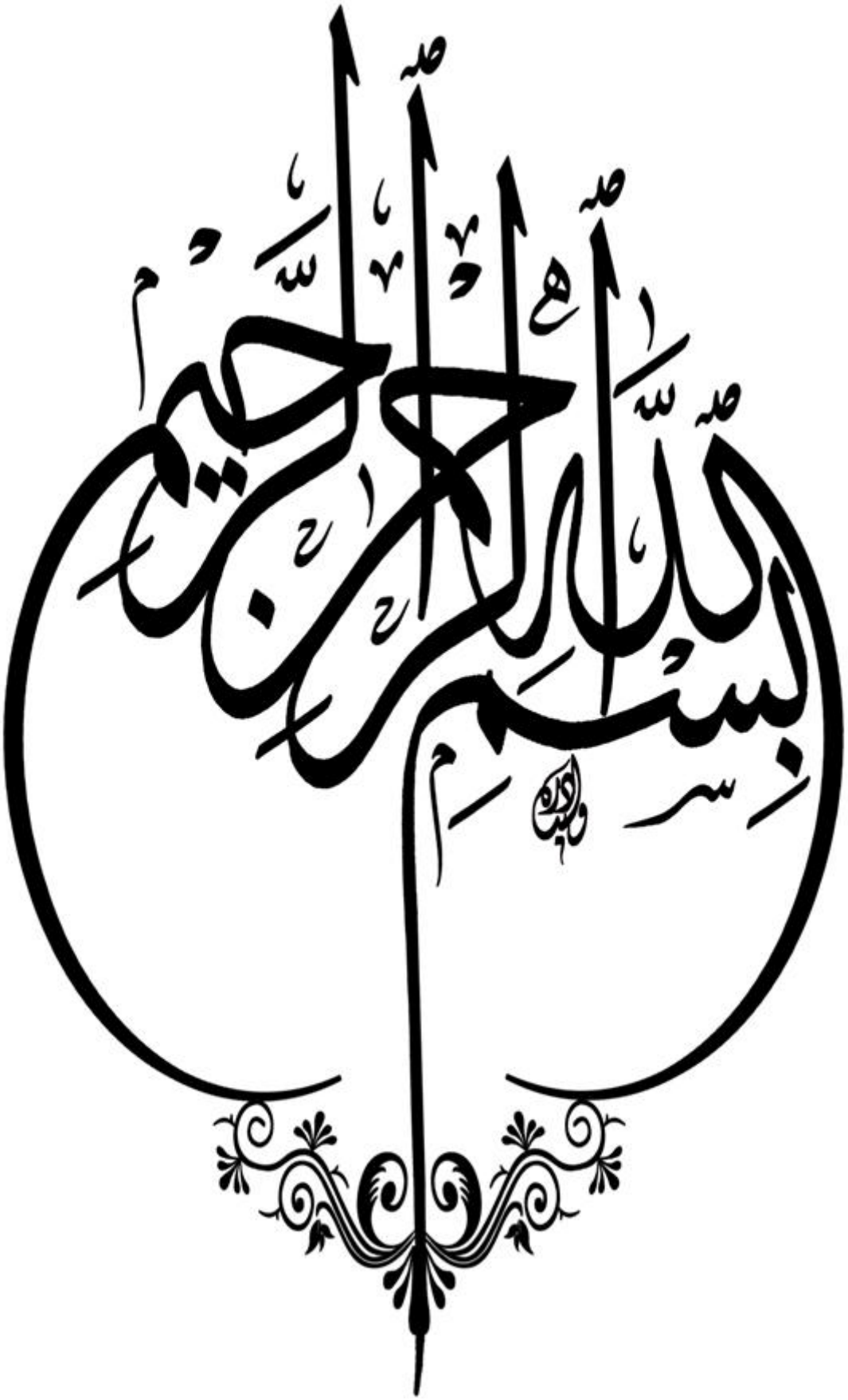
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أولا الحمدلله الذي يسر لنا الصعاب على نجاز هذا العمل واتمامه

نتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف حسين محمد

الشريف على كل توجيه وارشاد.

كما نتقدم بالشكر للدكتورة تاحي إسماعيل على كل

ملاحظاته القيمة.

كما لا ننسى شكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من

قريب أو من بعيد.

الشكر والتقدير لهم جميعا .

إهداء

ما أجل العطاء . . وما اجمل أن تعيش لتسعد الآخرين

إلى الروح التي علمتني معنى الفقد، إذ ليس الوجع في أيام الفقد الأولى، بل حين تأتي الأيام السعيدة فنجد من سيشاركنا السعادة بعمق قد رحل . . . أمي . . . أخي رحمكما الله

إلى من شجعني على المثابرة، إلى من علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر . . . والدي الغالي

إلى من ساندني وخط معي خطواتي، ويسر لي الصعاب، إلى سندي وقوتي الى اماني ومأمني في الحياة. . . زوجي العزيز.

إلى زهرتي حواء . . وبرعماي نزار ومروان

إلى الإسم الآخر للحب إلى الضمادات الضمانات. . . إلى من أشد عضدي بهن. . قطعة من أبي وأمي. . أخواتي الغاليات. . . .

إلى من أقرب من كل هذا بابا لي. . . إلى أمي الثانية. . التي احتوتني وكانت جدة رائعة لأبنائي في شوقهم وغربتهم. . . جارتي العزيزة

أهدي ثمرة جهدي هذا لكم جميعا، راجية أن يكون في ميزان حسناتي وحسنات كل من ساندوني، وأن يكون مفتاح خير علي وعلى وطني

سلمانية إيمان

إهداء

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء، إلى الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي إلى طريق النجاح

إلى الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر أبي الغالي

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء، إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها، إلى من رافقتني دائما بدعواتها

أمي الحبيبة

إلى أماني ومأمني، وسكني، ورفيق دربي زوجي العزيز لحسن دحمان

إلى من حبهم يجري في عروقي وبذكرهم يلهج فؤادي، إلى فلذات كبدي، مشروع المستقبل، الحلم المنتظر، والأمل الذي يبعث الحياة أولادي: تسنيم- عبد الوكيل- سلسبيل- جنة.

إلى من شاركوني السعادة والحزن إلى من قاسموني لذة الفرح ومرارة الألم إخوتي: فؤاد، أسامة، وفاء، حمامة الدعم والسند.

إليهم جميعا أهدي هذا العمل سائلة الله عز وجل أن يجعله نبراسا لكل طالب علم

شاكي سميحة

قائمة المختصرات

ج	الجزء
ع	العدد
مج	مجلد
د.ط	دون طبعة
تح	تحقيق
تق	تقديم
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
تر	ترجمة

مقدمة

مقدمة:

التاريخ حمال أوجه، يؤاثثه من يريد بعبارات التمجيد، ويصـــنعه أيضـــا من تهزمه الأحداث ليكون في المستقبل، حنين العودة إلى أمجاد الماضـي وإن كانت تصـفعها شـموس الحقيقة عن أزمنة الاسـتبداد، ارتبط في الأذهان ما يعزز أوراق إمبراطورية واسـعة، فيها من الدماء، وفيها من وريقات خضراء تساقطت، وخلافة أخذتها تنظيمات فانحصرت، إمبراطورية كانت تتلاعب بملوك أوروبا في القرنين 16 و17م، إمبراطورية خضـــعت لها بلاد العرب مستقبلي الوحي القرآني وناشريه.

حقا التاريخ يعيد نفســـه في المرة الأولى كمأســـاة، وفي المرة الثانية كمهزلة، وهذا ما لاحظناه في الإمبراطورية العثمانية في نهايات القرن 19م وبدايات القرن 20م، حيث تحولت إلى متحف مفتوح، خاصة بعد دخول الإصلاحات والبعثات العلمية التي سربت الفكر القومي الأوروبي الذي ســـيطرت على أوروبا ســـيطرة محكمة، أما الدولة العثمانية فتوجهها ديني وصـــعود الفكر القومي فيها، أدى إلى تفككها واضـــمحلالها حيث اســـتقلت كل من اليونان وصـربيا وبلغاريا، وموت العديد من الأهالي المسلمين في تلك البلدان، وخسارة البلاد العربية واحدة تلوى والأخرى.

الفكر القومي الذي غير الهيكل السـياسـي للسـلطنة، حيث تمردت الحركات المعارضـة للحكم المطلق، وتولت زمام الســـلطة متجســـدة في جمعية الاتحاد والترقي التي غذتها دول أوروبية، وحركتها أيادي يهودية دونمية، أطلقت شعارات إصـلاحية وبحثت عن روابط وهمية، إلا أنها جعلت منها معول هدم للخلافة الإسلامية.

دوافع اختيار الموضوع

اخترنا سياسة الاتحاد والترقي في البلاد العربية موضوعا لبحثنا لعدة أسباب أهمها:

- رغبتنا وحبنا للتاريخ العثماني.
- الرغبة في إزالة الغموض عن الأهداف التي كانت تصبوا إليها جمعية الاتحادوالترقي.

- اكتشاف الخطة التي اتبعتها هاته الجمعية في تسيير أمور الإمبراطورية.
- رغبتنا الجياشة في معرفة أسباب الطلاق التركي العربي.

طرح الإشكال

اختصت دراستنا في الفترة الممتدة بين 1908م-1918م في البلاد العربية، وخصصنا إشكالية تمكننا من دراسة هاته الفترة وسياسة الحكم التي سيرت خلالها وموقف العرب منها.

- ما هي السياسة التي اتبعتها جمعية الاتحاد والترقي تجاه البلاد العربية في الفترة الممتدة بين 1908م-1918م؟

وتليها تساؤلات فرعية كالتالي:

1- كيف كانت أوضاع البلاد العربية إبان حكم السلطان عبد الحميد الثاني؟

2- كيف نشأت جمعية الاتحاد والترقي؟ وكيف ارتقت إلى أعلى هرم السلطة وسيرتها؟

3- ما هي تداعيات حكم جماعة الاتحاد والترقي على البلاد العربية؟

خطة البحث

في سبيل التفصيل واستعراض الإجابة عن التساؤلات السابقة قمنا بتقسيم موضوعنا إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول عنوناه بسياسة السلطان عبد الحميد تجاه العرب والبلاد العربية، والذي اشتمل على ثلاثة مباحث، حيث عالجنا في المبحث الأول قضية تقريب العرب والعمل على توطيد سيادة الدولة في البلاد العربية، أما المبحث الثاني كان بعنوان: مشروع الجامعة الإسلامية وسلاح الخلافة، والمبحث الثالث فقد وضحنا فيه التصدي للهجرة اليهودية والخطط الصهيونية.

أما الفصل الثاني جاء بعنوان: جمعية الاتحاد والترقي انقلابها على الحكم وتبنيها القومية الطورانية، والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث عنونا المبحث الأول بنشأة وجذور جمعية الاتحاد والترقي، وعالجنا في المبحث الثاني الانقلاب العثماني وإعلان الدستور، أما المبحث الثالث تطرقنا فيه لسياسة التتريك وتبني القومية الطورانية.

أما الفصـــل الثالث فكان بعنوان: تداعيات حكم جماعة الاتحاد والترقي على البلاد العربية وقســـمناه بدوره إلى ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول طرابلس الغرب (ليبيا) وعالجنا في المبحث الثاني: بلاد اليمن والحجاز، أما المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى الهلال الخصيب.

المنهج المتبع

لمعرفة الحقائق والإجابة عن تســـاؤلاتنا ارتأينا إتباع المنهج التاريخي الاســـترادادي، حيث استقرأنا من خلاله وثائق واستردنا أحداث تاريخية من الماضي.

كما اتبعنا أيضـا المنهج الوصـفي التحليلي، قمنا من خلاله بدراسـة الظواهر التاريخية كما وجدت في الواقع.

المصادر والمراجع

ساعدتنا في دراسة هذا الموضوع جملة من المصادر والمراجع نذكر منها الأساسية:

– مذكرات السـلطان عبد الحميد الثاني السـياسـية والتي أفادتنا كثيرا في موضـوع مشـروع الجامعة الإسلامية وسلاح الخلافة.

– كذلك يوميات هرتزل أفادتنا في الفصل الأول كثيرا.

– كتاب تاريخ الدولة العثمانية للمؤلف يلمازأوزتونا والذي استفدنا منه في قضية نشأة جمعية الاتحاد والترقي وبلوغها الحكم.

أما بالنسبة للمراجع فكانت الأبرز منها هي:

– كتاب كيف سقطت الدولة العثمانية؟ للمؤلف سليمان بن صالح الخراشي الذي أفادنا كثيرا في التعرف على بعض شخصيات جمعية الاتحاد والترقي.

– كتاب العرب والترك في العهد الدســـتوري العثماني 1908م–1914م للكاتب توفيق علي برو.

صعوبات البحث

واجهتنا عدة صعوبات في بحثنا هذا ذاتية وعلمية تمثلت في:

– عدم تمكننا من التعامل مع اللغة العثمانية التي كتبت بها عدة مصـــادر ووثائق كانت من الممكن أن تثري بحثنا أكثر، رغم محاولتنا الجاهدة في ترجمة البعض منها.

– تضـارب آراء المؤرخين حول جمعية الاتحاد والترقي وأهدافها مما جعلنا نواجه صـعوبة في تقصي الحقيقة ومعرفة الموقف الأرجح بينهم.

– كثرة المراجع حول الموضوع إلا أن معلوماتها مكررة ومحدودة.

الفصل لأول:

سياسة السلطان عبد الحميد تجاه العرب والبلاد العربية (1876-1908م)

المبحث الأول: تقريب العرب العمل على توطيد سيادة الدولة في البلاد العربية

المبحث الثاني: مشروع الجامعة الإسلامية وسلاح الخلافة

المبحث الثالث: التصدي للهجرة اليهودية والخطط الصهيونية

المبحث الأول: تقريب العرب والعمل على توطيد سيادة الدولة في البلاد العربية

كان السلطان عبد الحميد الثاني[1] يقدر أهمية البلاد العربية، ويدرك أن اليوم الذي ينفصل فيه العرب عن سلطته وعددهم يقارب العشرة ملايين سيكون نذيرا بانهيار إمبراطوريته[2]،فاهتم بالعرب كثيرا وخاصة أنهم أصحاب رسالة الإسلام، وبلغتهم وهي اللغة العربية نزل القرآن، وبلادهم تظم مدن (مكة، المدينة، بيت المقدس) وهي أهم الأماكن المقدسة عند المسلمين.[3]

وعند وصوله إلى العرش، كانت الدول العثمانية تشمل كل من سوريا، العراق وشبه الجزيرة العربية وليبيا، فقام بتقسيم إداري جديد للسلطنة، حيث أقام الولايات والسناجق على نسق جديد في المنطقة العربية بصورة خاصة، رابطا كل وحدة إدارية بالعاصمة العثمانية مباشرة، وذلك بهدف منع تعمق المشاعر القومية بين سكانها، [4]ويشير عدد من المؤرخين إلى نجاح السلطان عبد الحميد في إضعاف التيار القومي العربي، إذ أن سياسته "أجلت بروز القومية الناشئة في سورية لمدة جيل على الأقل".[5]

---

(1)-السلطان عبد الحميد الثاني:ولد يوم الأربعاء21أيلول عام1842، وهو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته الثانية تعلم اللغتين العربية والفارسية ودرس كثيرا من الكتب الأدبية، بويع بالخلافة بعد أخيه مراد يوم الخميس 31 آب عام 1876 وكان عمره آنذاك أربعا وثلاثين سنة، وقد تولى الخلافة في وقت كانت فيه الإمبراطورية مثخنة بالديون، وفي عهده وقعت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، ويعتبر عبد الحميد أعظم خليفة في عصر انحطاط الدولة، قدم أعمال وخدمات جليلة لها، خلع بتاريخ 27نيسان1909 إثر مؤامرة إشترك فيها اليهود والاتحاديون وأرسل إلى سألونيك وبقي هناك تحت الإقامة الجبرية، توفي بتاريخ 10شباط 1918 إثر نزيف داخلي، عن عمر يناهز الثامنة والسبعين، أنظر:السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1979،ص من 11إلى 15.

(2)-توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914)، معهد الدراسات العربية العالمية، دار الهنا، 1960م، ص 33.

(3)-اسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1996م، ص 203.

(4)-هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص 194.

(5)-أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر، ص 248.

ومن أهم المعالم في سياسة عبد الحميد أنه كان يرمي من ورائها إلى استمالة العناصر غير التركية ولا سيما العرب، [1]فاهتم بإنشاء المدارس الإعدادية والثانوية في مختلف الولايات العربية، وافتتح مدرسة سماها مدرسة العشائر في استانبول يدرس فيها أولاد الأعيان العرب من سورية والعراق واليمن وغيرها.[2]

وكجزء من توجه السلطان عبد الحميد في تقريب العرب واستمالتهم قام بتعيين العديد من وجهائهم في مناصب عالية في الدولة، [3]ويعتبر عزت باشا العابد وهو عربي سوري من الأمثلة البارزة على ذلك، فقد وصل إلى منصب السكرتير الثاني للسلطان ومستشاره في الشؤون العربية، [4]كما عين الأخوين نجيب وسليم ملحمة وشفيق باشا الكوراني والشيخ ظافر الطرابلسي وزراء ومديرين للأمن العام.[5]

وكان الفريق محمد باشا والفريق محي الدين باشا ولدا الأمير عبد القادر الجزائري، وفؤاد باشا المصري من مرافقي السلطان عبد الحميد، [6]كما شكل كتائب الزحوف العربية واتخذها حاخاما للقصر، وقد حازت هذه الكتائب إعجاب الأجانب، ولما وقعت حوادث 31 مارس 1908 كانت هذه الكتائب أول من تقيد بأوامر السلطان فلم تشترك بأي حركة تسيء للسلطان أو للدولة...[7]، وغيرها من المناصب التي حبى بها العرب.

---

(1)-جلال يحي، مدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965م، ص 212.

(2)-مصطفى طوران، أسرار الإنقلاب العثماني، تر: كمال خوجة، ط4، دار السلام، بيروت، لبنان، 1985م، ص 41.

(3)-هاني الهندي، المرجع السابق، ص 194

(4)-السيد محمد الدقن، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، ص 128.

(5)-توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 46.

(6)-محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981م، ص 745.

(7)-مصطفى طوران، المصدر نفسه، ص 41-42.

حتى أن جورج أنطونيوس يقول: "حتى لقد قيل-وهو قول حق- انه إذا كان الباب العالي ومناصب الوزارة قد ظلا مجالا يصول فيه الأتراك ويجولون، فقط سقط القصر جميعه في أيدي العرب".[1]

وأشار "مانتران" في كتابه إلى أن الضباط العرب في الجيش العثماني قد بلغ عددهم سنة 1886 حوالي ثلاثة آلاف ومائتان (3200) ضابطا في مقاطعات الجيش المختلفة.[2]

بالإضافة إلى ذلك فقد أنفق أموالا طائلة على إصلاح مساجد مكة والمدينة وبيت المقدس وزخرفتها، وخاصة أنها أماكن العبادة الرئيسية للمسلمين، [3]وطوال حكمه لم تنقطع رواتب الأشراف من آل البيت، بل كانت تصلهم بانتظام وتصلهم كذلك هدايا ويناشين دورية من السلطان، وكان هناك يوم خاص يحتفل فيه باستانبول بمناسبة إرسال سترة الكعبة إلى الحج، ومع السترة ترسل أعلام وهدايا ثمينة.[4]

وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد أبدى اهتماما بالغا بإنشاء الخطوط الحديدية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية ومنها البلاد العربية، وكان من أهم مشاريع السكك الحديدية لدى السلطان هو مشروع خط سكة حديد الحجاز، الذي اعتبره وسيلة من وسائل إعلاء شان الخلافة ونشر فكرة الجامعة الإسلامية.[5]

وكان يهدف من خلاله لتسهيل الحج بتقصير مدة الرحلة وجعله في متناول الجميع، فيزيد الاختلاط والتعارف والتآلف بين المسلمين، [6]كما يسهل مهمة الدفاع عن الدولة في أية جهة من الجهات، حيث توفر هذه الخطوط سرعة في توزيع القوات العثمانية وإيصالها إلى

---

(1)-جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، ط2، دار العلم، بيروت، لبنان، 1987م، ص 140.

(2)-روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992م، ص 178.

(3)-جورج أنطونيوس، المصدر نفسه، ص 139.

(4)-مصطفى طوران، المصدر السابق، ص 42.

(5)-موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض، مطابع دار الأبناء، الكويت، 1984م، ص 113.

(6)-توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 36

مكان العدو، [1]وبالإضـــافة إلى ذلك يســـاعد على توطيد ســـلطة الخليفة في البحر الأحمر والجزيرة العربية ويقضي على دسائس الانجليز.[2]

بنى هذا الخط مهندسون ألمانيون وتولى أمره الموظف السوري أحمد عزت باشا كاتب السلطان الخاص، [3]وقد غطت التبرعات التي جمعت من العالم الإسلامي ما يزيد عن ثلث النفقات واكتسب السلطان عبد الحميد عطف المسلمين في جميع أنحاء العالم.[4]

استكملت أشغال خط الحديد الحجازي سنة 1908 والذي وصل اسطنبول بالمدينة المنورة، مخترقا سوريا من الشمال إلى الجنوب، [5]وكان مفروضا أن يتم مده إلى مكة لكن حدث أن توقف العمل فيه لأن شريف مكة -وهو الحسن بن علي- خشي على سلطانه في الحجاز من بطش الدولة العثمانية فنهض لعرقلة مد المشروع إلى مكة.[6]

وهكذا عمل السلطان عبد الحميد الثاني على المحافظة على ترابط البلاد العربية بالدولة العثمانية، من خلال إشراك العرب في مناصب الدولة، والقيام بسلسلة من الإصلاحات لتوطيد سيادة الدولة في البلاد العربية.

إلا أن البعض يرى أن سياسة عبد الحميد الثاني تجاه العرب كانت تجمع بين أساليب كثيرة ومتنوعة، فيها من التهيب وفيها من محاولة السيطرة عليهم وتشديد قبضته على أعناقهم، بطريقة تجمع البراعة والشدة إلى المكر والدهاء، ولم تخلو من الريب والشبهات وعدم الثقة في كثير من الأحيان.[7]

---

[1]-موفق بني المرجة،المرجع السابق، ص 113.

[2]-توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 36.

[3]-فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد، عبد الكريم رافيق، دار الثقافة، بيروت،لبنان، ص 349.

[4]-موفق بني المرجة، المرجع نفسه، ص 114.

[5]-فيليب حتي، المصدر نفسه، ص 349.

[6]-علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان 2010م، ص 45.

[7]-توفيق علي برو، المرجع نفسه، ص 32.

فقد كان عبد الحميد حين يفشل أسلوب التودد يلجأ إلى وسائل الفتك والعنف والكبت، فوضع الصحافة تحت رقابة شديدة، وألغى جميع التدابير التي تؤمن حرية الفكر مهما كان نوعها.[1]

كما اختار جماعة من الجواسيس يجوبون البلاد العربية تحت قناع الوعاظ والدعاة ويقومون ببذر بذور الخلاف ويعمقوا أسبابه بين الزعماء العرب ورؤساء القبائل بهدف اضطراب الأمن فيوقع بهم العقاب لعدم خضوعهم لرغباته، [2]وينفي من يخشى نشاطه وخطره من وجهائهم، أو يستدعيه إلى الأستانة كي يبقى تحت رقابته، ونذكر من هؤلاء الحسن بن علي الذي رأى فيه السلطان عبد الحميد ما يدعو إلى قلقه، فوجه إليه دعوة للإقامة في الأستانة مع أهل بيته.[3]

وقد عبر السلطان عبد الحميد عن رأيه في الحسين بن علي فقال: "إن الشريف حسين لا يحبنا، إنه الآن هادئ وساكن، لكن الله وحده يعمل ماذا يمكن أن يفعله الشريف غدا" فلما حكم الاتحاديون، أعادوا الشريف حسن إلى مكة، ومن هنا قام بثورته وحصل الانفصال بين العثمانيين والعرب.[4]

وقد برر السلطان عبد الحميد لجوءه إلى الجوسسة قائلا: "إن التجسس أمر معيب، إلا أنه ضروري في بلادنا لأنه لا يوجد في أي بقعة من بقاع الأرض مؤامرات ودسائس مثل التي في السلطنة العثمانية، لقد تعرضت لمحاولتي اغتيال والفضل في نجاتي يعود إلى بعض رجالي المخلصين".[5]

---

[1]-فيليب حتي، المصدر السابق، ص 349.

[2]-جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص 140.

[3]- نفسه، ص 140.

[4]-علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 48.

[5]-السلطان عبد الحميد، م المصدر السابق، ص 220.

ويذكر شكيب أرسلان أن السلطان عبد الحميد فعلا قد استكثر من الجواسيس لكنه لم يكن يعمل بكل تقاريرهم كما هو شائع، بل كان يرمي أكثرها ولا يصدق ما فيها.[1]

[1]-شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تح :حسنالسماحي سويداني، ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، م2011، ص 324.

المبحث الثاني: مشروع الجامعة الإسلامية وسلاح الخلافة

شهدت فترة حكم السلطات عبد الحميد الثاني حملة من الاضطرابات والأزمات الحادة، فبالإضافة لاعتداءات الدول الأوروبية المتكررة والمستمرة على أملاك الدولة العثمانية، عملت على تأييد الحركات القومية داخلها.[1]

ولمواجهة هذه الاعتداءات والتحديات الجديدة لجأ السلطان عبد الحميد إلى اتخاذ لقب الخلافة، وعمل على إنشاء الجامعة الإسلامية كي يعمل على تكتل المسلمين من حوله في الداخل والخارج.[2]

وقد صادفت حركة الجامعة الإسلامية بعض النجاح، خاصة أن عبد الحميد ورعاياه من المسلمين، قد اعتقدوا أن ضعف الإمبراطورية مرجعه ضعف الشعور الديني، في الوقت الذي شهد فيه القرن 19م زحف الدول المسيحية على الهند وأواسط آسيا ومصر بالإضافة لشمال إفريقيا.[3]

والحقيقة أن الربع الأخير من القرن 19م قد شهد تيارا فكريا إسلاميا وهو "الجامعة الإسلامية" على يد المصلح جمال الدين الأفغاني، [4]والتي تعتبر امتدادا للحركات الدينية التي ظهرت منذ أواخر القرن 18م في العالم الإسلامي، والتي ظهرت كرد فعل لاعتداءات الدول الأوروبية على بعض أجزاء العالم الإسلامي، بالإضافة لحركة الاستغراب في الشرق،

---

(1)-السيد محمد الدقن، المرجع السابق، ص 125.

(2)-اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 196.

(3)-أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 249.

(4)-جمال الدين الأفغاني: ولد سنة 1839م واختلف في مقر مولده هل هو أفغانستان أم إيران، والأرجح أنه أفغانستان، درس مختلف العلوم في الفقه والشريعة وعلوم المنطق والرياضة، تجول في فارس وفي بلاد الهند، وكان كلما حل بذر بذور الوطنيةوالوحدة والمقاومة للاستعمار، ومن ثم كان كلما دخل بلدا مسلما مستعمرا أخرجه المستعمرون منه، فأخرجه الانجليز من الهند، ولم يرحب به شاه إيران، وأخرجه الانجليز فيما بعد من مصر، أسس في باريس جريدة وجمعية "العروة الوثقى"، ارتحل إلى روسيا ثم إيران ثم أخيرا إلى استانبول حيث أقام في ضيافة السلطان عبد الحميد الثاني، الذي ربما أراد الإفادة من دعوته في الوحدة الإسلامية، طال به المقام هناك حتى توفي في 9 مارس 1897 إثر داء عضال، أنظر: تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، ط1، اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2001م، ص 117، 118.

ورغم أن هذه الحركة هي امتدادا للحركات الدينية السابقة، إلا أنها تعتبر أقوى حركة فكرية عالجت المشكلات الدينية والدنيوية في الشرق، وهي حركة إصلاح ديني وإصلاح سياسي في نفس الوقت.[1]

تبنى السلطان عبد الحميد الثاني فكرة الجامعة الإسلامية لدعم وتعزيز مركزه، وإنقاذ دولته من التفكك، ودعا الأفغاني إلى الأستانة وقربه إليه، والتقت آرائه مع الأفغاني في ضرورة الوحدة الإسلامية، لكنهما اختلفا في العديد من المفاهيم التي نادى بها الأفغاني، ولم تلق استجابة لدى السلطان، فأصبح الاتفاق بينهما متعذرا.[2]

كان السلطان عبد الحميد الثاني يرى أن الجامعة الإسلامية خير سبيل له لتحقيق أهدافه على المستوى الداخلي والخارجي، فعلى المستوى الخارجي كان يهدف إلى استثارة الحماس الديني لدى الملايين من رعايا بريطانيا في الهند، وفرنسا في شمال إفريقيا، وروسيا في القوقاز والتركستان، وكسب عطفهم وتأييدهم واعتبار ذلك ورقة رابحة في يده، حيث يمكن استخدامها كأداة ضغط على الدول الأوربية لكبح جماحها.[3]

حيث يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: "نعم لم تكن لدي الطاقة ولا القوة لمحاربة الدول الأوروبية بمفردي، ولكن الدول الكبرى التي تحكم شعوبا مسلمة عديدة... ترتعد من سلاح الخلافة الذي أحمله".[4]

أما على المستوى الداخلي فقد هدف إلى استخدامها كسلاح لمقاومة معارضيه في الداخل، بإبراز السمات الدينية لمنصبه، وإحياء الخلافة الإسلامية، وتقويتها بشخصه كزعيم للمسلمين في الإمبراطورية، حتى يضمن ولائهم في مواجهة المتأثرين بالثقافة الغربية، [5]

---

[1]-اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 198.

[2]- نفسه، ص 201.

[3]-السيد محمد الدقن، المرجع السابق، ص 125.

[4]-محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ط3، دار القلم، دمشق، سوريا،1991م، ص 147.

[5]-اسماعيل أحمد ياغي، المرجع نفسه، ص 197.

ويواجه به فيروس النزعة القومية الذي بدأ ينذر باحتياج السكان المسلمين من ألبان وأكراد وعرب.[1]

هذا بالإضافة لإثبات أن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة سياسية عالمية يحسب لها ألف حساب، وأن تأخذ هذه الوحدة الإسلامية الجديدة دورها في التأثير في السياسة العالمية.[2]

وهكذا عمل السلطان عبد الحميد الثاني على تدعيم فكرة الجامعة الإسلامية وتأكيدها لتصبح تيارا يستطيع الصمود في وجه الدول الاستعمارية، وصارت في نظره هجمة مضادة تستعمل في بقاء الدولة العثمانية.

فقام بإنشاء معهد تدريب الوعاظ والمرشدين الذي أقيم لإعداد الدعاة للجامعة الإسلامية، وفور تخرجهم يجوبون العالم الإسلامي لنشر فكرة الجامعة الإسلامية، [3]كما يسر السبل للصحف لتقوم بدورها في ذلك، وأنشأ المجلات والنشريات الدورية ليتسع مجال النشر والدعاية.[4]

كما وجه الدعوات لرجال الفكر وزعماء المسلمين لزيارة استانبول بهدف إيجاد صلات معهم، لدعم نفوذه حتى أصبحت العاصمة العثمانية مصدرا لزعماء المسلمين، واستغل موسم الحج واجتماع المسلمين من جميع بقاع العالم لنشر أفكار الجامعة الإسلامية مستعينا بشريف مكة.[5]

واهتم السلطان عبد الحميد اهتماما خاصا بالبلاد العربية وهي قلب العالم الإسلامي، فأرسل إليها رسله للدعوة له بين العرب ومحاولة إقناعهم بأن الخلافة هي أملهم الوحيد في

---

[1]-روبير مانتران، المصدر السابق، ص 176.

[2]-علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 31.

[3]-محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا،1990م، ص 203.

[4]-جورج أنطونيوس، المصدر سابق، ص 139.

[5]-السيد محمد الدقن، المرجع سابق، ص 130.

النجاة من الغرب، وأن الجامعة الإسلامية هي سبيل العرب لاسترداد ما كان لهم من مجد خالد وعز تليد.[1]

ويعتبر البعض نزعة الجامعة الإسلامية لدى السلطان عبد الحميد أحد عناصر سياسة يمكن وصفها بأنها سياسة "عربية" وتسعى إلى ربط الولايات العربية بالدولة بشكل أكثر رسوخا.[2]

وقد كانت هناك رغبة للسلطان في اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة العثمانية حيث جاء في مذكراته: "اللغة العربية لغة جميلة، ليتنا كنا اتخذناها لغة رسمية للدولة من قبل، لقد اقترحت على خير الدين باشا-التونسي-*[3] عندما كان صدرا أعظم أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية، لكن سعيد باشا كبير أمناء القصر اعترض على اقتراحي هذا، وقال: "إذا عربنا الدولة فلن يبقى للعنصر التركي شيء بعد ذلك... إن اتخاذنا اللغة العربية لغة رسمية للدولة من شأنه-على الأقل- أن يزيد ارتباطنا بالعرب".[4]

وهكذا أصبحت الجامعة الإسلامية سلاحا إيديولوجيا لمقاومة امبريالية الغرب والحركات القومية داخل الإمبراطورية العثمانية، ورغم كل الاتهامات التي وجهت إلى عهد عبد الحميد وشخصه فإن الخلافة كانت تحظى بقدر كبير من الاحترام، لدى رعاياه، ورغم دعاوي أوربا فإنها كانت تخشى حركة الجامعة الإسلامية.[5]

---

[1]-موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص 113.

[2]-روبير مانتران، المصدر السابق، ص 177.

[3]-خير الدين التونسي: (1810-1890م) رائد من رواد النهضة الحديثة، وعلما من أعلامها، مفكر ورجل سياسة ونفوذ، تولى عدة مناصب مهمة نذكر منها الوزير الأكبر بتونس والصدر الأعظم بعاصمة الخلافة العثمانية، سخر حياته ووظف مناصبه لخدمة الأهداف التي سطرها في كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" الذي تضمن برنامجا إصلاحيا يختزل مجموع ما سعى النهوضويون العرب إلى تحقيقه في القرن التاسع عشر.. أنظر: خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم محمد حداد، مكتبة الاسكندرية، مصر، 2011م، ص 23.

[4]-محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، المصدر السابق، ص 1999.

[5]-أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 252.

فلقد شـــعر الأوروبيون بخطر هذه الجامعة على نفوذهم وإنبرى رجال لهم شـــأن في التاريخ الاستعماري "كالمسيوهانوتو، واللورد كروم واللورد عزاي" إلى مهاجمتها، واعتبارها بؤرة للتعصـــب الديني، وأن القصـــد منها تحدي قوات الدول المســـيحية ودعوا الأمم الأوربية إلى مراقبتها مراقبة دقيقة والحذر منها.[1]

المبحث الثالث: التصدي للهجرة اليهودية والخطط الصهيونية

تطلع اليهود على مر العصـــور لفلســـطين كإقليم يجمع شـــتاتهم وينشـــؤون فيه دولتهم، متذرعين بادعاءات دينية وتاريخية زائفة،[2] فكانت أصـــــواتهم تعلو حينا وتخفت حينا آخر، تبعا لظروف الدولة صـــاحبة الســـيادة على أرض فلســـطين-الدولة العثمانية-ولكن أصـــواتهم ازدادت ارتفاعا منذ ثمانينات القرن التاســـع عشـــر، وتنادوا إلى تهجير اليهود المشـــتتين في أنحاء العالم إلى فلسطين وإنقاذهم من الاضطهاد، وطالبوا بإقامة دولة يهودية في فلسطين.[3]

تزامن ذلك مع فتر حكم الســـــلطان عبد الحميد الثاني هذا الأخير الذي أبدى اهتماما جديا بمســـتقبل فلســـطين والولايات العربية الأخرى منذ توليه عرش الســـلطنة العثمانية ســـنة 1876م، وشـــعر بالخطر الصـــهيوني المتجه نحو الأراضـــي المقدســـة بفلســـطين، [4]ونظرا للمرحلة الصـــعبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية لم يكن بمقدور السلطان عبد الحميد أن يخوض صـــراعا سياسيا أو عسكريا ضـــد الصـــهيونية والدول الأوربية الداعمة لها، فعمل في حدود إمكانياته على الحد من الهجرة اليهودية إلى فلســـــطين، ورفض بيعها مقابل الخلاص من ديون الإمبراطورية.[5]

---

[1]-توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 34.

[2]-اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 248.

[3]-عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهر، مصر، م2004، ص 235.

[4]-حسان علي الحلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909)، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 07.

[5]-عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 235.

فكان السلطان عبد الحميد الثاني قد رفض الطلب الذي تقدمت به جمعية "أحباء صهيون" [1]سنة 1882م للقنصل العثماني في مدينة أوديسا الروسية تضمن رغبة اليهود الروس الحصول على إذن من السلطان العثماني للهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، [2] وقد تم ذلك على إثر المذابح التي قامت بها الحكومة القيصرية الروسية ضد اليهود وقيامها بتهجيرهم خارج روسيا.[3]

وتأكيدا لهذا الموقف أصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرمانا في نفس العام- 1882م- نص فيه على ضرورة إشعار جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة العثمانية بأنه لن يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين، ولا يعني ذلك السماح لهم بالهجرة إلى المناطق العثمانية الأخرى والاستقرار فيها كيفما شاؤوا، بل سيصبحون رعايا عثمانيين وستطبق عليهم القوانين المعمول بها في الامبراطورية.[4]

وفي 11 يناير من عام 1883 أرسل الباب العالي مذكرة رسمية إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية في استنابول، نص القرار على منع استيطان اليهود الروس في فلسطين.[5]

وأمام الضغط الذي مارسته الدول الأوربية على السلطان عبد الحميد خدمة للمصالح اليهودية، أصدر السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1884م فرمانا يقضي بالسماح لليهود بدخول فلسطين إذا كان بغرض زيارة الأماكن المقدسة، شرط أن لا تتجاوز مدة إقامتهم

---

(1)-أحباب صهيون" هي هيئة تكونت في أوديسا باسم "Chibbath Zion" أي محبي صهيون وانتشرت فروع لها في معظم المدن الروسية، وفي دول شرقي أوربا مثل رومانيا وبلغاريا، ثم في غربي وشمال أوربا مثل فرنسا وانجلترا ولتوانيا، واستهدفت هذه الهيئة تشجيع الهجرة إلى فلسطين، وإنشاء مستعمرات زراعية فيها، تكون في الوقت ذاته مركزا للإشعاع الثقافي اليهودي، وقد نجحت في إنشاء المستعمرات الصهيونية الأولى في فلسطين، ومهدت الطريق أمام الحركة الصهيونية بعد مؤتمر بازل الأول.. أنظر: نفسه، ص 236.

(2)-رفيق شاكر النتشة، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، م1991، ص 166.

(3)-هيلة بنت سعد بن محمد السليمي، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، رسالة ماجستير، إشراف يوسف بن علي بن رابح الثقفي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 2001م، ص 55.

(4)-حسان علي الحلاق، المرجع السابق، ص 07.

(5)-عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع نفسه، ص 239.

ثلاثين يوما، ونتيجة لمزيد من الضغط مددت الفترة المسموح بها إلى ثلاثة أشهر في عام 1990م، [1]وأوعزت الحكومة العثمانية إلى قناصلها في مختلف البلاد عدم التأشير على جوازات سفر اليهود إلا بداعي الزيارة الدينية ولمدة محدودة.[2]

وإمعانا في التصدي لتحايل اليهود على القوانين ومنعا لاستقرارهم في فلسطين تحت ذريعة الزيارة للأماكن المقدسة، استحدث في عهد السلطان عبد الحميد نظام "الشارة الحمراء" حيث كان على الزائر اليهودي منذ وصوله لفلسطين أن يسلم جواز سفره إلى السلطات العثمانية هناك، ويستبدله مؤقتا ببطاقة حمراء اللون (أنظر ملحق رقم 02) يسمح لحاملها بالإقامة في الأرض المقدسة لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر.[3]

لقد كان السلطان عبد الحميد الثاني حريصا كل الحرص على اتخاذ كافة التدابير للتصدي للتسلل اليهودي إلى الأراضي الفلسطينية، والحيلولة دون تنفيذ مخططاتهم فيها، ففي سنة 1887 أدخل تغييرا جذريا على الوضع الإداري لبيت المقدس وجعلها متصرفة [4]خاصة تتبع الباب العالي رأسا، وكان هدفه من ذلك هو إحكام مراقبة الدوائر العليا في حكومة استانبول على الحد من حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين.[5]

وبالرغم من هذه الإجراءات المشددة للحفاظ على فلسطين، استطاع اليهود التسلل إليها بمساعدة بعض القناصل الأوروبيين هناك وقبول بعض الموظفين العثمانيين الرشاوي، فتجددت القيود المفروضة على إقامة اليهود في فلسطين وعلى بيع الأراضي، وصدر قرار 1892م الذي يحرم بيع أراضي الحكومة لليهود، بما فيها رعايا الدولة العثمانية. [6]

---

[1]–هيلة بنت سعد بن محمد السليمي، المرجع السابق، ص 56.

[2]–رفيق شاكر النتشة، المرجع السابق، ص 167.

[3]–أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1997، ص 85.

[4]–المتصرفة، في التنظيم الإداري العثماني عبارة عن منطقة تلي الولاية، تريد أن تقرر لها الدولة وضعا متميزا، أو كيانا خاصا فتجعلها قسما إداريا قائما بذاته، تابعا للباب العالي رأسا أسوة بالولاية، وإن كانت المتصرفة أقل مساحة من الولاية، أنظر: عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 240.

[5]– نفسه، ص 240.

[6]–رفيق شاكر النتشة، المرجع السابق، ص 170.

عمل السلطان عبد الحميد الثاني على التصدي للهجرة اليهودية والوقوف في وجه الحركة الصهيونية [1]التي اشتد ساعدها بعقد مؤتمرها الأول سنة 1897م بمدين بازل بسويسرا والذي نادى بعقده تيودور هرتزل، [2]هذا الأخير الذي تزعم الحركة الصهيونية قولا وعملا بعد عقد مؤتمرها الأول، فكان على السلطان عبد الحميد الثاني أن يواجه في الثلاث عشرة سنة التي تبقت له في الحكم منذ عقد مؤتمر بازل الأول حتى عزله (1897-1909م) المؤامرات الصهيونية لتهويد فلسطين، كخطوة أولى لإقامة الدولة اليهودية فيها.[3]

وعلى الرغم من كون فلسطين التي يخطط هرتزل لإقامة الدولة اليهودية على أرضها جزءا من أملاك الدولة العثمانية فإنه قد بدأ مساعيه لتحقيق مشروعه الصهيوني من أوربا، قبل أن يتصل بالسلطات العثمانية ويعرف موقفها حيال طلبه، ذلك لأنه كان يدرك بأنه لن يتمكن من الحصول على فلسطين إلا إذا حصل على تأييد وضمانة دولية ومن ثم ضغط سياسي على السلطان العثماني لإقناعه بالمشروع الصهيوني، وقد رأى أن هذه المواقف الأوربية المبدئية تجاه مشروعه تعطيه الضوء الأخضر لمواصلة جهوده.[4]

---

[1]-الحركة الصهيونية:حركة عنصرية ذات طبيعة استعمارية تهدف إلى اقتلاع جذور يهود العالم من مجتمعاتهم التي يقيمون فيها، عبر هجرات متواصلة لخلق دولة قومية يهودية في فلسطين، أي أن الصهيونية قررت تحويل المضطهدين في المجتمعات الغربية إلى مهاجرين، فمستوطنين، فمحتلين أراضي السكان المحليين، فمهجرين لهم وهذا كله بدعم ومساندة الدول الاستعمارية الكبرى، أنظر:عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط10، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص30.

[2]-تيودور هرتزل (1860-1906م) المؤسس الأول للصهيونية السياسية العالمية، ولد في بودابست في 2 مايو 1860، انتقل مع أسرته في فينا والتي أتم فيها تعليمه الجامعي وحصل فيها على الدكتوراه في الحقوق عام 1884، عمل بالمحاماة عام واحد ثم انتقل للصحافة، أنشأ في عام 1897م مجلة أسبوعية أسماها "العالم" أصبحت فيما بعد الناطق الرسمي باسم "الحركة الصهيونية" كان من أشد المتحمسين لفكرة الوطن القومي لليهود، وعرض تبنيه الجارف للفكرة الصهيونية الاستيطانية في كتابه "الدولة اليهودية" عام 1895... أنظر:إسماعيل أحمد ياغي، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1983م،ص44،43.

[3]-عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 244، 245.

[4]-هيلة بنت سعد بن محمد السليمي، المرجع السابق، ص 69، 70.

بعد ذلك عمل هرتزل على الاتصال بأصحاب الشأن والحكام الفعليين على فلسطين وهي الدولة العثمانية ممثلة في سلطانها عبد الحميد الثاني لمحاولة إقناعه بفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والسماح لليهود بإقامة مستوطنات للإقامة فيها، محاولا إغراء السلطان لحل مشاكله المالية مقابل تنفيذ طلباته.[1]

ولهذا الهدف زار هرتزل استانبول من (1896-1902م) أربع مرات نجح في إحداها أن يقابل السلطان عبد الحميد، وكانت أولى هذه الزيارات سنة 1896م ورافقه خلالها نيولنسكي [2]الصحفي النمساوي، الذي كانت له علاقة ودية مع السلطان عبد الحميد [3]ولكن هرتزل لم يستطع مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني هذه المرة فعهد إلى نيولنسكي بتقديم مقترحاته للسلطان، والمتمثلة في حملات دعائية في الصحافة الأوربية لتحسين صورة السلطان العثماني، وتسوية ديون الدولة العثمانية المستحقة لدى الدول الأوربية مقابل فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين.[4]

وقد نقل نيولنسكي إلى هرتزل موقف السلطان عبد الحميد الثاني والذي يعتبر ذروة المعارضة العثمانية للاستيطان اليهودي في فلسطين، وقد دونه هرتزل بنفسه في مذكراته، [5] حيث قال السلطان عبد الحميد: "لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم وقد غذوها فيما بعد

---

[1]-رفيق شاكر النتشة، المرجع السابق، ص 176.

[2]-فيليب مايكل نيولنسكي (1841-1899) صحافي وعميل سياسي نمساوي من أصل بولندي، عمل مسؤولا عن الإدارة السياسة في السفارة النمساوية في استانبول، وأصبح للسلطان عبد الحميد الثاني، ترك العمل الدبلوماسي سنة 1879 في باريس كصحافي، أسس وكالة أنباء في فينا وأصدر صحيفة "بريد الشرق"، أنظر: يوسف حسين يوسف عمر، أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909، رسالة ماجستير، إشراف وليد العريفي، جامعة اليرموك، الأردن، 2000م، ص134.

[3]-علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 58.

[4]-حسين أوزدمير، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2013م، ص 126.

[5]-حسان علي الحلاق، المرجع السابق، ص 10.

بدمائهم وســـوف نغذيها بدمائنا، قبل أن نســـمح لأحد باغتصـــابها منا... ليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل."[1]

ومع أن هذا الجواب بدا شـــديدا على هرتزل إلا أنه لم يكن من النوع الذي يفقد أمله بسرعة، إذ أنه بدأ يبحث عن إغراء جديد يستطيع أن يصل به إلى مآربه.[2]

وكانت زيارته الثانية لاستانبول سنة 1898 بعد عقد المؤتمر الصهيوني الأول، محاولا اســـتغلال زيارة إمبراطور ألمانيا "ويلهام الثاني" للدولة العثمانية ليتوســـط له لدى الســـلطان العثماني، إلا أن آماله في تلك الوساطة ذهبت أدراج الرياح ولم يتمكن من لقاء السلطان عبد الحميد هذه المرة أيضا.[3]

اســـتمر الزعيم الصـــهيوني هرتزل في محاولاته دون يأس حتى كللت جهوده بالنجاح، حيث تمكن عام 1901م من الحصول على إذن مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني كصحافي صـــهيوني وليس كزعيم يهودي، [4]وقد حذره فامبري [5]من الســـلطان عبد الحميد لأنه يكره الصهيونية قائلا: "إياك أن تحدثه عن الصهيونية إنها فانوس سحري، القدس مقدسة لهؤلاء مثل مكة".[6]

وفي 18 مايو من عام 1901م جرت المقابلة بين الســـلطان عبد الحميد وتيودوهرتزل دام اللقاء ســـاعتين، وقد اقترح هرتزل قيام البنوك اليهودية الغنية في أوربا بمســـاعدة الدولة

---

(1)-أنيس صايغ، يوميات هرتزل، تر: هلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1968م، ص 35.

(2)-أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ص 198.

(3)-حسين أوزدمير ،المرجع السابق، ص 134.

(4)-حسان علي الحلاق، المرجع نفسه، ص 14.

(5)-فامبري، جاسوس عثماني ومستشرق هنغاري، يهودي الأصل، تزوج أميرة عثمانية ووطد علاقته مع الباب العالي، أنظر: نفسه، ص 14.

(6)-أنيس الصايغ، المصدر السابق، ص 172.

العثمانية لقاء السماح بالاستيطان اليهودي في فلسطين، كما أكد لعبد الحميد أنه سوف يخفف الديون العامة للدولة، ووعده أن يحتفظ بمناقشته السرية معه.[1]

كان السلطان عبد الحميد الثاني أدهى من أن يستجيب للصهيوني هرتزل وكان في مقابلته معه مستمعا أكثر منه متكلما، وبدأ يرخي في حبال الكلام ليجعله يصرح بكل ما في جعبته من آراء ومشروعات ومطالب.[2]

أدرك هرتزل في نهاية اللقاء أنه قد أخفق مع السلطان عبد الحميد، وأنه أخذ السير في طريق مسدود معه، [3]فبالرغم من أن السلطان عبد الحميد كان في أمس الحاجة لتلك الأموال التي كان الزعيم الصهيوني يلوح بها لإصلاح دولته وسداد ديونها، إلا أنه ما وهن وما استكان، ولم تكن أموال اليهود لتغير مبادئه.[4]

ظل هرتزل يحاول الاتصال بالسلطان العثماني مرة أخرى لعله يستطيع تغيير موقفه، فسافر للمرة الرابعة إلى استانبول في 12 فبراير عام 1902م، لكنه لم يستطع لقاء السلطان عبد الحميد الثاني[5]، غير أنه اجتمع مع بعض مستشاريه الذين عرضوا عليه استيطان اليهود في بلاد ما بين النهرين "العراق" مقابل تعزيز الموقف المالي للدولة العثمانية، وقد تم استثناء فلسطين بشكل خاص من العرض، بشرط أن لا يقيم اليهود معا، بحيث يتفرقوا في أماكن محددة تحددها لهم الحكومة العثمانية، ولأن هذا العرض لا يحقق آمال هرتزل فقد رفضه.[6]

---

[1]-أحمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص 141.

[2]-عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 248.

[3]-أحمد نوري النعيمي، المرجع نفسه، ص 142.

[4]-هيلة بنت سعد بن محمد السليمي، المرجع السابق، ص 77.

[5]-حسان علي الحلاق، المرجع السابق، ص 15.

[6]-يوسف حسين يوسف عمر، أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)، رسالة ماجستير، إشراف وليد العريض، جامعة اليرموك، الأردن، 2000م، ص 137.

وهكذا غادر هرتزل استانبول خائبا لم يحقق شيئا طوال سنوات عدة من المحاولات والجهود، بعد أن استنفذ كل أنواع الإغراءات [1]، وقد كتب قائلا: "أقر على ضوء حديثي مع السلطان عبد الحميد الثاني أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية، أو عن طريق الزج بها في حروب تهزم فيها، أو عن طريق الزج بها في مشكلات دولية، أو بالطريقتين معا في آن واحد".[2]

كان عبد الحميد يرى أنه من الضروري عدم توطين اليهود في فلسطين كي يحتفظ العنصر العربي بتفوقه الطبيعي[3]، حيث يقول في هذا الصدد: "...لدينا عدد كاف من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقا علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين، وإلا فإن اليهود الذين استوطنوا أرضا تملكوا كافة مقدراتها خلال وقت قصير، وبذلك نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم"[4].

ونتيجة للمواقف الصلبة للسلطان عبد الحميد الثاني ضد مخططات الاستعمار والصهيونية، أصبح من المؤكد لدى زعماء الصهيونية والدول الاستعمارية أنه لا مجال لتنفيذ المشروع الصهيوني وتهويد فلسطين مادام السلطان عبد الحميد على العرش، فقد حكم هذا الأخير سبب عدائه لأماني اليهود وأطماعهم على نفسه بالخلع وعلى سمعته وتاريخ خلافته بالتشويه والتحريف والتجريح[5].

---

[1]-أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص 202.

[2]-أحمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص148.

[3]-نفسه، ص 143.

[4]-السلطان عبد الحميد، المصدر السابق، ص 34.

[5]-رفيق شاكر النشتة، المرجع السابق، ص 181.

الفصل لثاني

جمعية الاتحاد والترقي انقلابها على الحكم وتبنيها القومية الطوارنية

المبحث الأول: نشأة وجذور جمعية الاتحاد والترقي

المبحث الثاني: الانقلاب العثماني وإعلان الدستور

المبحث الثالث: سياسة التتريك وتبني القومية الطورانية

المبحث الأول: نشأة وجذور جمعية الاتحاد والترقي

في عام 1908م أدركت سلطنة السلطان عبد الحميد الثاني عامها 32، حيث كانت إدارة طويلة فيها رفاهية، وخالية من الويلات، ولكنها في الوقت نفسه كانت إدارة كبت.[1]

وكان الحكم فيها استبداديا وحكم مطلق، حيث يقبض رجل واحد على أزمة الأمور فهو الحكم الذي ألفه العالم منذ نشأته، له بلا ريب مزايا باهرة مع جهل الرعية وذكاء الراعي وعدله،[2] ولهذا فإن الطبقة الحاكمة أو الصفوة النابهة من قطاع المثقفين الأتراك عند ما بدأت تحس في النصف الثاني من القرن 19 بتزايد استبداد السلاطين وفساد رجال الحاشية راحت تكافح بلا هوادة في سبيل تقيد سلطة السلاطين وإقامة الحياة الدستورية، ولا شك أن حركة التنظيمات ساعدت على ذلك كثيرا.[3]

والجدير بالذكر أن هذه الحركة أصبحت مألوفة، لم يكن هناك أحد يريد استبدال نظام التنظيمات بالنظام القديم الذي يجري فيه كل شيء دون قانون يستند عليه غير الوجدان والأخلاق.[4]

ولهذا انبعثت حركات قومية وتنظيمات تركية معارضة للحكم، هدفها التغيير والإصلاح تطالب بالحرية والعدل والمساواة، وتهدف إلى العمل وفق دستور وقانون أساسي كحال حركة تركيا الفتاة.

هذا الحزب الذي ظهر إلى الوجود منذ تولي مصطفى فاضل باشا[5]نظارة المعارف 1862م، وهاجر إلى باريس ما بين 1865م-1867م، والحق أن أنصار هذا الحزب

---

(1)-يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة محمود الأنصاري، مج1، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، 1988م، ص 166.

(2)-سليمان البستاني: الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، د ط, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 18.

(3)-السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، 1909، د ط ,المطبعة العالمية، القاهرة، 1970م، ص 43.

(4)-يلماز أوزتونا، المصدر نفسه، ص 166.

(5)-مصطفى فاضل بن إبراهيم باشا حفيد محمد علي باشا والي مصر، ولد في القاهرة عام 1828م، تقلد عدة وزارات ومأموريات عليا في الدولة العثمانية، فقد حقه في الخديوية بسبب تغير النظام في وراثة عرش مصر، أقام في باريس

جميعهم من المطلعين على الكتب الفرنســـية، وآداب الطريقة المدرســـية، أو على ما ترجم بالتركية، والحقيقة أن الذي أطلق على الحزب تسميته هم الفرنسيون حيث قالوا: "جون تركي" كما يقولون "جون فرانس" و"جون ألمانيا" و"جون إيطالي"، فترجم بالعربية إلى "تركيا الفتاة"، وقيل بالتركية "كينج تركلر".[1]

ارتبطت الحركة القومية التركية بالحركة المعروفة بـــ: "تركيا الفتاة" التي ظهرت بسبب الآراء التحررية الواردة إلى تركيا عن طريق المدارس والبعثات التعليمية إلى عواصم الغرب[2] غير أن بعض المؤرخين يرون أن نشأة المعارضة قد بدأت عندما تشكلت "شباب العثمانيين" على يد ضـــياء باشـــا[3]ونامق كمال[4]وبعض الشـــباب الآخرين عام 1868م، حيث أطلقوا جريدتهم الخاصة "حريات" في 29 جوان 1868م، غير أن هذه الحركة أعلنت نهايتها عندما قام الســـلطان عبد الحميد الثاني بحل المجلس النيابي بحلول 13 فيفري 1878م، في الربع الأخير من القرن 19 ظهرت في الإمبراطورية العثمانية بعض الحركات والجمعيات السياسية المنظمة وفق نموذج الأحزاب الأوروبية، ســـواء على المســـتوى النظري أو على المســـتوى التنظيمي بكل ما تحمله الكلمة من معنى.[5]

عام== 1867م قدم الدعم المادي والمعنوي لأعضـاء جمعية "تركيا الفتاة" هناك، توفي في اسـتانبول عام 1875م، أنظر: سليمان بن صـالح الخراشـي، كيف سقطت الدولة العثمانية؟، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1999م، ص 42.

(1)– روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، د ط ,مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة 2012،ص 25.

(2)–حماميد حسينة: المسألة الشرقية، مطبوعة جامعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2013/2012م، ص 16.

(3)–هو ضياء باشا أحد رواد الأدب التركي الحديث، ولد سنة 1825م، نظم الشعر باللغتين التركية والفارسية، انتقل إلى أوروبا عام 1869م، وأصدر فيها جريدتي "المخبر" و"الحرية"، ومن آثاره الأدبية كتاب "خرابات"، توفي في مارس 1880م، ينظر سيلمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص 41.

(4)-هو نامق كمال أديب تركي شهير، ولد سنة 1840م، في "روستو" درس اللغة العربية والفارسية والفرنسية وفي عام 1865م أصبح مسؤولا عن تحرير مجلة، ينظر سليمان بن صالح الخراشي، نفسه، ص 41.

(5)–قيس جواد العزاوي: الدولة العثمانية من الخلافة إلى الانقلاب 1908م–1913م، تر: عاصم عبد ربه، ط1، المركز القومية للترجمة، القاهرة، 2017م، ص 82.

والجدير بالذكر أن تأليف الجمعيات المنظمة التي استهدفت محاربة الاستبداد بدأت سنة 1889م، حيث مضى على بدء الثورة الفرنسية مئة عام، وكان الفرنسيون قد أقاموا مهرجانات ضخمة وأنشأوا في باريس معرضا دوليا فخما احتفالا بذكرى أمجادهم القومية، أثرت هته الاحتفالات في نفوس عشاق الحرية في البلاد العثمانية تأثيرا عميقا،[1] ويظهر هذا التأثر في المدرسة الطبية العسكرية في استانبول، حيث شكل جماعة من طلابها (انظر الملحق03) منظمة ثورية هدفها الواضح عزل السلطان عبد الحميد الثاني، والواقع أن معظم الأفكار الغربية أخذت تنفذ إلى الدولة العثمانية من باريس.[2]

اتخذ الطلاب الأحرار كما يسمون أنفسهم من شعار الثورة الفرنسية (حرية، مساواة، إيخاء" هدفا منشودا لهم، وكان تنظيم هذه الجماعة قد نقل عن تنظيم جماعة "إيطاليا الفتاة" على طراز جمعية "الكاربوناري"[3] التي تشكلت في القسم الأول من القرن 19، حيث يذكر لنا المؤرخ: "أ رامزور في كتابه تركيا الفتاة وثورة 1908م" أن ابراهيم تيمو[4]أحد منشئي الحركة أنه زار خلال إقامته في "برنديري" و"نابولي" محفلا ماسونيا برفقة أحد أصدقائه وتعلم شيئا كافيا عن دور الكاربوناري في التاريخ الإيطالي، وقد تأثر بتنظيماتها وقرر أن ينشئ

---

[1]–ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1960م، ص 105.

[2]– قيس جواد العزاوي: المرجع السابق، ص 83.

[3]–الكاربوناري او حارق الفحم هي جمعية سرية تأسست في إيطاليا أوائل القرن التاسع عشر تكونت من مجموعة استفزتهم السيطرة الأجنبية على بلادهم، رفعوا شعار "الحرية والاستقلال" ، جمع بينهم وبين الجمعيات الماسونية تشابه كبير ،أدت هذه الجمعية دورا كبيرا في ثورات 1821 .1831م كما ساهمت بشكل فعال في الانبعاث والوحدة الايطالية. ينظر، نادية ياسين عبد، الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن 19م، ط1، دار ومكتبة عدنان,سوريا,دمشق,2014م،ص 171

[4]–ابراهيم بن مراد تيمو، ولد في مارس 1865م في بلدة "ستروعا" قرب حدود يوغوسلافيا مع ألبانيا، من أب ألباني الأصل، التحق بالمدرسة الطبية العسكرية باستانبول عام 1886م، ولما تخرج التحق بالكلية الطبية العكسرية وتخرج منها طبيبا للعيون عام 1893م، هرب إلى روما عام 1895م وأصدر هناك مجلة "صدى الملة"، عاد إلى استانبول بعد إعلان الدستور 1908م وأسس الحزب العثماني الديمقراطي، توفي في روما عام 1945م انظر، سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص 43.

فيما بعد بتركيا جمعية سرية تشبهها، وكان هذا التأثير واضحا في الأرقام الكسرية التي تجعل أعضاءها يعرفون بعضهم بعضا، وتتكون هذه الأرقام الكسرية من ترقيم كل خلية جديدة في المنظمة، ثم بإعطاء رقم لكل عضو في تلك الجماعة فكان رقم الخلية أو الفرع هو المقام، ورقم العضو هو البسط، وكان رقم ابراهيم تيمو منشئ الحركة هو$\frac{1}{1}$.[1]

إبراهيم تيمو هو الذي كان يدفع هذه الجمعية أو الحركة ضد السلطان، حيث باحث ثلاثة من زملائه الطلاب الذي كان يعرف آرائهم فيما بين 1889م، وهم إسحاق سكوتي[2]،وشركسي محمد رشيد، وعبد الله جودت[3]،واقترح عليهم أن يشكلوا جمعية وطنية سرية، فأصبح هؤلاء الأربعة نواة منظمة سرعان ما جذبت إليها طلابا آخرين، وعقد الشباب اجتماعاتهم الأولى بمنتهى الجدية، وصاروا يطلقون فيما بعد على كل اجتماع اسما خاصا، وسمي أول اجتماع لهم (اجتماع الأربعة) دورتلر اجتماعي".[4]

بدأت جمعية الاتحاد والترقي في التوسع بشكل سريع جدا ولاسيما خلال المدة بين 1902م-1906م، حيث ظهر من ينادي بمبادئها وشعاراتها في القاهرة وجينيف واسطانبول، وليس هذا فحسب بل تغلغلت منذ عام 1906م في الجيش، ففي دمشق أسس عدد من الضباط أولى تلك الجمعيات المعارضة للحكم، والتي استمدت مبادئها من حركة "تركيا الفتاة"، أسسها الضابط مصطفى كمال أتاتورك وأطلق عليها اسم "جمعية الوطن والحرية"،

---

[1]-رارنستأ رامزور: تركيا الفتاة وثورة 1908م، تر, صالح أحمد العلي، تق, نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1960م، ص 51.

[2]-اسحاق سكوتي هوثوري كردي من مؤسسي جمعية تركيا الفتاة، نفي إلى "رودس" وفر إلى باريس أنشأ جريدة "عثمالي" مع عبد الله جودت، عين طبيبا عسكريا في السفارة العثمانية في روما عام 1900م، توفي في سان ريمو، أنظر: رارنست أ رامزور، نفسه، ص 58-82-83.

[3]-عبد الله جودت: ولد في "عربكير" قرب ديار بكر عام 1869م، تخرج من المدرسة الطبية العسكرية، ثم أبعد إلى ليبيا عام 1892م بسبب أنشطته السرية، وفي عام 1897م، هرب إلى روما وأصدر مجلته "اجتهاد" وتبنى مبادئ إلحادية معادية للإسلام، توفي في 28 نوفمبر 1932م، أنظر: سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص 44.

[4]-رارنست أ ارامزور: المصدر نفسه، ص 51.

كما وصلت خلايا هذه الجمعية إلى الضباط في الجيش الثالث في سالونيك[1]،وقد ساعد انفتاح هذه المدينة المفرط قياسيا ببقية المدن العثمانية على انتشار الجمعيات المناهضة للحكم العثماني، ويرجع سبب انفتاح هذه المدينة كونها المركز الرئيسي للماسونية، وبعيدة عن أنظار السلطة العثمانية.[2]

والجدير بالذكر أن نحو نصف أهالي سالونيك هم من يهود الدونمة،[3] وقد بلغ عدد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي في سالونيك عام 1908م نحو 15 ألف منتسب.[4]

ويذكر لنا السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته السياسية أن: "الغالبية من الأتراك الشباب (جون ترك) كانوا من الماسون[5]،وأنهم انتسبوا بوجه خاص إلى المحفل الماسوني الانجليزي الذي كانوا يتلقون منه معونة مادية".[6]

كما يتفق جمع من المؤرخين على أن جماعة الاتحاد والترقي كانت تعقد اجتماعاتها في بيوت اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية والجمعيات الماسونية الإيطالية، إذ أن جنسيتهم هذه تحميهم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية من الخضوع لأوامر القبض التي يصدرها السلطان، ومن تفتيش البوليس لمنازلهم، أو محاكمتهم أمام المحاكم التركية، ومن ثمة دأب

---

(1)–سالونيك هي مدينة رومية قديمة جدا، تقع جنوب بلاد مقدونية على بحر الأرخبيل، كانت تسمى ترما، ثم أطلق عليها اسم "تسالونيك" ثم حرف إلى "سالونيك"، أنظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 133.

(2)– اسماعيل نوري الدوري: محمد شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، جامعة تكريت، 2009، ص 343.

(3)–الدونمة: هي كلمة مشتقة من الكلمة التركية "دونمك Donmk"، وهي صفة تعني العائد، المتذبذب، المرتد، وكلمة الدونمة تعني المذهب اليهودي الجديد الذي دعا إليه الحاخام ساباتاي سيفي عندما أدعى النبوة، وتعني أيضا اليهود المسلمين، أنظر: مصطفى طوران، المصدر السابق، ص 05.

(4)–اسماعيل نوري الدوري: المرجع نفسه، ص 343.

(5)–الماسون هم جمهور عظيم من مذاهب مختلفة، يعملون لغاية واحدة لا يعلمها إلا القليلون منهم، إلا أن الغاية هي رفع راية إسرائيل في سماء أرض كنعان، أنظر: محمد علي الزعبي، الماسونية ...ملك إسرائيل، مطابع معتوق، ص 11.

(6)–السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، المصدر السابق، ص 344.

أعضـاء الاتحاد والترقي على الاحتماء بحصـانة هؤلاء اليهود، وقد انظم بعضـهم إلى جماعة الماسون.[1]

ويؤكد لنا المؤرخ علي محمد صـــلابي على أن الفكر الحاكم في اتجاهات الجمعية هو الماسـونية وهي لا تعترف بالأديان والفلسـفة الوضـعية والعلمانية، ومع ذلك اسـتخدم الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبد الحميد الثاني وافتروا عليه باسم الدين.[2]

ويبين لنا الفيلســوف الماســوني "شــاريب" علاقة الماســونية القوية والأخوية بجماعة، الاتحاد والترقي من خلال مقولته في حفل أقيم للماسـونيين: "أنظروا إلى إخوانكم الماسـونيون السالونيكيون الذين قاموا بالحركة الدستورية التي قلبت الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبد الحميد دون أن تســيل نقطة دم واحدة... أجل فبمثل هذا الشــعب الماســوني تفتخر الماسونية ويعظم من شأن وسائلها السلمية السليمة...".[3]

وتتعدد الآراء وتتضــارب حول مبادئ وأهداف جمعية الاتحاد والترقي، ففي الوقت الذي يعتبرها بعض المؤرخين والمفكرين أمثال روحي الخالدي أنها تأسـست لإخماد الفتن المشـتعلة في البلاد، وطلب الحرية والعدل لجميع العثمانيين، وتأييد روابط الحب والأمان بين الأمة المؤلفة من ســـنة وأديان مختلفة وبين الدولة وأن مبادئها بنيت على التفاني في حب الوطن وخدمة الجماعة أي وفق حياة الفرد في خدمة المجموع، ورفض الانغماس في الشـــهوات وتبذير الأغنياء، وهي تشــدد النكير على الذين يبتزون الأموال الأميرية ويأكلون أموال الناس

---

[1]–هـ.س.أرستردنج: الذئب الأغبر مصطفى كمال، دار الهلال–سلسلة شهرية، العدد 16، ص 29.

[2]–علي محمد صلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2001م، ص 460.

[3]–عبد الله التل: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت،لبنان، ص 79.

بالباطل ويعبثون بالحقوق العمومية والمتصف المشهود له بهاته الصفات هو "رضا بك"[1] حيث عبر عن مقاصد الجمعية في جريدته "مشورت".[2]

وقد لخص أعضاء الحركات المعارضة أهدافهم كالتالي:

- تحديث السلطة وفق النموذج الغربي.
- عزل السلطان عبد الحميد الثاني.
- القضاء على الاستبداد.[3]
- العمل من أجل إعادة الحياة الدستورية في البلاد.
- تقوية الإمبراطورية العثمانية عن الطريق الإصلاح على المبادئ الأوربية.
- إطفاء النزاعات القومية بعثمنتها، فالكل عثمانيون لا فرق بين مسلم ولا مسيحي أو يهودي أو تركي أو ألبان أو أرمن.
- معارضة التدخل المباشر للدولة الأجنبية في شؤون الدولة العثمانية.[4]

وفي الاجتماع المقام سنة 1902م المنعقد في باريس بين الشبان الأحرار قرر المؤتمرون:

- إجبار السلطان عبد الحميد على ترك العرش.
- استبدال الإدارة الحاضرة من أساسها.

---

[1]–أحمد رضا بك: والده علي رضا بك، وجده أحمد أفندي، سمي ثائر أو سياسي عثماني ورئيس مجموعة الاتحاد والترقي في باريس، مدير المصارف بوصة التعليمية، صاحب مجلة "مشورت"، أنظر: محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص 270.

[2]–روحي الخالدي، المصدر السابق، ص 51.

[3]–قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 83.

[4]–السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 59.

- تأسيس أصول المشروطية والمشورة.[1]
- إعادة دستور مدحت باشا[2].
- تجميع قوة الثورة ضد السلطان، أي استمالة الجيش لصف الاتحاديين.
- إثارة السخط ضد السلطان عبد الحميد الثاني داخل البلاد و خارجها.[3]

وظهرت للسطح وبكل جرأة أهداف أخرى للجمعية من أبرزها:

- اعتبار اللغة التركية لغة الحكومة.
- كل شخص له أن يتمتع بالحرية التامة بصرف النظر عن جنسه ومذهبه.
- كل المدارس تكون تحت إشراف الدولة ويكون فيها التدريس حر، وتعليم اللغة التركية في القسم الابتدائي إجباري.[4]

وعلى غرار ما سلف ذكره عن أصحاب الرأي السابق الذي يرى أن جمعية الاتحاد والترقي ذات هدف نبيل وهو الإصلاح والحرية، يذهب جمع من المفكرين والسياسيين إلى اعتبار أن جمعية الاتحاد والترقي هي أحد الثالوث المجرم "الدول الأوروبية الصليبية، الحركة الصهيونية، دعاة القومية العنصرية".[5]

ويصفهم السلطان عبد الحميد الثاني في مذكرته السياسية قائلا: "أنهم مخلصين لسادتهم أعداء الله والأمة، فقد كانوا يروجون الإشاعات المغلطة ويحيكون الدسائس، كما

---

[1]–ساطع الحصري: المصدر السابق، ص 108.

[2]–مدحت باشا: ولد في الأستانة عام 1822م، كان ميالا إلى الخوض في أعظم الأمور، كان أبوه ميالا إلى الترقي والعمران ومن أعظم السياسيين في الدولة، دخل دوائر الحكومة للتمرن وعمره 12 سنة، ساعد في إدخال التنظيمات للدولة، استطاع أن يحمل السلطان عبد الحميد الثاني إصدار القانون الأساسي عقب توليه العرش عام 1876م، نفاه السلطان عبد الحميد خارج البلاد العثمانية، لكن عاد بعد مدة من نفيه، فأمر بقتله شر قتلة، أنظر: ساطع الحصري: نفسه ص 98، ينظر، عزرا سمويل ساسون مذكرات مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقي، مطبعة جرجي غرزوزي، الاسكندرية، 1910م، ص من 4 حتى 8.

[3]–عبد العزيز سلمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، د ط ,دار النهضة، بيروت، لبنان، 1973، ص 208، 209.

[4]–نادية ياسين عبد: ،المرجع السابق، ص 333.

[5]–السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 8.

كان بعضهم ينتقل في أوربا من عاصمة إلى أخرى ويرتكب كل ما يشين سمعة أمته وبلاده، ويدفن بيده أمجاد أمته وعظمتها ويسرع في التدبير والتخطيط لزوالها وتدميرها"، ويضيف قائلا: "أنهم يقدمون شعارات براقة كتوعية الأمة وترقيتها بغية القضاء على النظام القائم وهدم ما بناه الأجداد طيلة قرون خلت، وهم في الحقيقة يريدون الإطاحة برجال دولتي المجربين وتولي زمام الأمور بأنفسهم، إنهم عصابة منافقة دنيئة تنكرت لدينها ووطنها، وحالفت الصليبية العدوة في القضاء على أبناء جلدتنا وإخواننا في الإسلام، فهم دمى هزيلة تحركها أصابع أجنبية كافرة معروفة بعدائها للإسلام والمسلمين".[1]

كانت هاته الجمعية تحضى بدعم بعض الدول الأوروبية التي تهدف إلى التخلص من الدولة العثمانية وبأي ثمن لاسيما فرنسا وبريطانيا، وكلما شعر أعضاء هذه الجمعية بمتابعة أعوان السلطان هربوا إلى تلك الدول.[2]

وصفوة القول أن كل هذه الجمعيات المعارضة للاستبداد–المزعوم– كجمعية الاتحاد العثماني، وهيئة إدارة الجمعية العثمانية والجمعية السرية...وغيرهم لم يكن رجالها خاصة في باريس متفقين على الخطط وأسلوب البرامج التي يرونها، لكن كانت تجمعهم نقطة واحدة وهي محاربة السلطان عبد الحميد الثاني والقضاء على حكمه المستبد الظالم، ـ في زعمهم ـ، أما الاتجاهات السياسية والاجتماعية حول كيفية إدارة الدولة فكانت على أشد الخلاف بين مختلف الجماعات ومع ذلك فقد بذلت شتى الطرق والوسائل لتوحيد عمل جميع المنظمات في أوروبا وتم توحيدهم جميعا تحت اسم جمعية الاتحاد والترقي واستعانوا سرا بالدول الأوروبية، وتسللت فكرة الانقلاب العثماني داخلها استجابة للإصلاح.[3]

---

[1]–السلطان عبد الحميد، المصدر السابق، ص 08

[2]–اسماعيل نور الدوري، المرجع السابق، ص 342.

[3]–سعيد سعد سفر الغامدي: موقف العلماء والمفكرين في الدولة العثمانية من جمعية الاتحاد والترقي، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، العدد 17، أفريل 1997م، ص 153.

المبحث الثاني: الانقلاب العثماني وإعلان الدستور

بعد الاتفاق المجرى بين الجمعيات والمنظمات المعارضة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني على توحيد جهودها تحت اسم "جمعية الاتحاد والترقي"، واجهتهم مشكلة وهي الانتقال إلى الفعل، لكن سرعان ما وصلوا إلى حلها، فاتفقوا على ضرورة اكتساب الجيش إلى جانب الثورة، ففي عام 1906م أصدر أحمد رضا في القاهرة كتابا بشأن هذا الموضوع بعنوان "الجندي واجب ومسؤولية" وأوضح فيه دور الجيش في الدفاع عن البلاد، ولكون الضباط هم أرقى عناصر الأمة تأهيلا وأكثرها وطنية، فإن من حقهم قيادة الحياة السياسية في البلاد.[1]

وتم عقد مؤتمرهم الثاني في باريس بين 27 و29 ديسمبر 1907م بمشاركة كل من أحمد رضا، البرنس صباح الدين، ملوميان من الاتحاد الأرمني الثوري الفدرالي، وتوصلوا إلى وجوب معارضة حكم السلطان بكل وسيلة تقع في أيديهم والتخلص من قبضته، واقترحوا قائمة بأساليب المعارضة الواجب إتباعها وهي:

- المقاومة السليمة بشكل الامتناع عن دفع الضرائب.
- المقاومة غير المسلحة "الإضرابات".
- المقاومة المسلحة المتمثلة في الثورة العامة ضد أعمال الظلم إذا اقتضى الأمر.
- نشر الدعاية المناهضة للحكم بين أفراد الجيش.[2]

والجدير بالذكر أن المبررات والعوامل التي مهدت للانقلاب كثيرة منها خارجية فرضت نفسها تحت ضغط التغيرات التي طرأت على العالم، كانتصار اليابان على العدو القديم الموروث عن الأسلاف "الإمبراطورية القيصرية"، أقنع الأتراك أن هذا الانتصار لبلد شرقي على بلد غربي هو بسبب أن البلد الأول كان يتمتع بنظام دستوري بينما كان نظام حكم البلد الثاني فرديا، وكذلك تغير نظام إيران التي منحت نفسها دستورا عاما 1905م، ضف إلى

---

[1]–قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 106-107.

[2]–رارنست أ ارامزور، المصدر السابق، ص 140.

ذلك الثورة الروسية في 1905م وإقامة نظام حكم ديمقراطي ودستوري مع برلمان، ولا ننسى خوف العثمانيون الاصلاحيون بأن تكون لأوروبا أطماع في الإمبراطورية العثمانية خاصة بعد اجتماع الملك ادوارد السابع من ابن أخته القيصر نيقولا الثاني في 1908م.[1]

ومبررات داخلية أساسها تفاقم الأزمة الاقتصادية، ويعبر لنا عنها الكاتب سليمان البستاني في كتابه "الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده" قائلا: "..استبداد تقسم فيه فئة ضئيلة أموال الأمة، فتنعم بها، وتشقى الأمة ولا حرج على تلك الفئة ولا جناح، وتستولي على موارد ثروة البلاد من حرث، وغاب ومنجم وتقلب الامتيازات كأنما كل ذلك من تراث آبائها وأجدادها...".[2]

والحق أن الإمبراطورية العثمانية قد مرت بأزمة اقتصادية مأساوية نتج عنها ارتفاع الأسعار وزيادة العبء الضريبي وكل هذا أدى إلى زيادة سخط حركات التمرد خاصة في المعسكرات.[3]

ففي صباح 10 جويلية 1908م انهالت على عاصمة الدولة العثمانية كمية كبيرة من البرقيات الصادرة من جميع الوحدات الإدارية تطالب بإعلان المشروطية.[4]

والأمر الأكثر خطورة هو تمرد الضابطين: أنور[5]،ونيازي عضوا جمعية الاتحاد والترقي وهروبهما إلى الجبل، ومعهما بعض الكتائب وساعدهما قائمقام المنطقة سرا.

---

[1]–قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 109.

[2]–سليمان البستاني، المصدر السابق، ص 19.

[3]–قيس جواد العزاوي، نفسه، ص 109.

[4]– ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 108.

[5]-هو أنور بن أحمد بك: ولد بالأستانة عام 1881م، تخرج من الكلية الحربية بالأستانة برتبة رئيس وعين في الفيلق الثالث بساكونيك، ثم عين في أركان الفيلق الثالث بمناستر، وانظم هناك إلى جمعية الاتحاد والترقي، تقلد عدة مناصب عسكرية وحكم البلاد مع طلعت باشا وجمال باشا حتى انهزام الدولة العثمانية بالحرب العظمى، فر خارج البلاد، قتله الروسي "سمرقند" عام 1922م، أنظر: سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص 55.

فبادر السلطان عبد الحميد إلى إرسال بعض الحملات العسكرية لإخضاعهما، غير أن ضباط هاته الحملات وعساكرها كانوا متأثرين هم أنفسهم بمبادئ الجمعية فانضموا بدورهم إلى الثوار، وبذلك قوى جانبهم فاستولوا على بعض المكاتب الحكومية في سالونيك، ففي 17 جويلة 1908م استولوا على مكتب بريد المدينة للاستفادة منه في إيصال التبليغات إلى أعوانهم في باقي المناطق.[1]

وفي الخميس 23 جويلية 1908م خرج الناس في سالونيك صباحا، فوجدوا إعلانات مختومة بختم جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، تدعوهم إلى الاجتماع في يوم الجمعة لإعلان القانون الأساسي والحرية، فلم يتمهلوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان ألومبيوس على الرصيف، وضج الجمهور قائلا: "إما الحرية وإما الموت"، وأول من خطب في الشعب كان "غالب أفندي" بالتركية ثم "مانويل قره صو" باليهودية الاسبانية، ثم "روصوا أفندي" بالفرنسية، والعديد منهم بلهجات ولغات مختلفة.[2]

فأسرع السلطان عبد الحميد إلى اتخاذ قرارات عاجلة لإنقاذ الموقف، فأعلن تأليف حكومة دستورية، ثم ألغى الجاسوسية، وأعلن ترحيبه باستقبال زعماء الثوار، فعاد نيازي وأنور على رأس قواتهما إلى سالونيك، وأطمأن الجميع،[3] وبهذه الصورة انتهى عهد الاستبداد الحميدي وبدأ عهد المشروطية الثانية.

والجدير بالذكر أن الانقلاب العثماني(انظر الملحق04) حدث بلا سفك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقيل في المملكة كما حصل عند باقي الأمم، الانجليز، الأمريكان، الفرنسيين والمجر والروس وغيرهم.[4]

---

[1]–اسماعيل نوري الدوري، المرجع السابق، ص 344.

[2]–روحي الخالدي، المصدر السابق، ص 68.

[3]–هـ.س أرستردتج، المرجع السابق، ص 24.

[4]–روحي الخالدي، نفسه، ص 68.

وعقب إعلان المشروطية أطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين، ورفعت القيود التي كانت مفروضة على المنفيين والمبعدين، إن هذه المشروطية لم تكن من عمل جماعة محدودة من رجال الدولة ومفكريها كما كانت المشروطية الأولى، بل اشترك فيها عدد كبير من الموظفين المدنيين والعسكريين.[1]

بعد صدور العفو العام عن المعتقلين عادت مجددا كل العناصر الهاربة، والضارة وكل العصابات، وفتحت كل الأبواب، وأصبح تأمين الأسلحة من الأقطار الخارجية إلى الحركيين سهلا، ولم يتبق في جعبة الصحافة هراء ولغوا لم يكتبوه، كما تم افتتاح جمعيتا "طاشناق وخنجاك" الأرمينيتان الإرهابيتان في الأناضول فكان الجو ملائما لحدوث الشغب والتمردات.[2]

مهما كانت مخططات الاتحاديين إزاء القوميات التي تضمنتها الدولة العثمانية من عدل وحرية و مساواة ، إلا أن نواياهم تكشفت بعدما اتضح عدد ممثلي الأقليات القومية القليل في مجلس المبعوثان مقارنة بعدد ممثلي الاتراك ،وهذا ما جعل هاته الأقليات تنظر بعين الشك إلى نوايا الاتحاديين ، فبدأت سلسلة الضربات من داخل الإمبراطورية وخارجها، إذ لم تمض بضعة أشهر على إعلان الدستور حتى أعلنت بلغاريا استقلالها رسميا عن الدولة العثمانية وضمت النمسا كل من البوسنة والهرسك، واتحدت جزيرة كريت مع اليونان.[3]

عاد نيازي إلى ألبانيا وتم اغتياله هناك، وعين أنور باشا ممثلا حربيا بسفارة تركيا ببرلين،[4] وفي أوائل أفريل 1909م حدثت صدامات بين مؤدي الشريعة الإسلامية وأنصار

---

[1]–ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 109.

[2]–يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص 108.

[3]–السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 68.

[4]–هـ.س.أرستردنج، المرجع السابق، ص 35.

الدستور الجديد، خاصة بعد نشر الصحفي "حسن فهمي بك" في جريدة "سريستي" مقالا عن ضرورة ارتداء الأتراك القبعة الأوروبية، فكان هذا المقال سببا في تأجيج الرأي العام.[1]

وفي 13 أفريل 1909م حدث في استانبول اضطراب جراء قتل بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقي، وعرف الحادث في التاريخ باسم حادث 31 مارس، وبعض المؤرخين يطلقون عليه اسم 31 أفريل، وهذا الاضطراب جاء نتيجة تدبير أوروبي مع رجال الاتحاد والترقي،[2] فكانت هي الشرارة التي أشعلت فتيل الفتنة في استانبول، حيث هجم المشيعون على مؤسسات العهد الجديد وأحرقوا بعضها، وقتلوا 300 من الضباط المؤيدين لجمعية الاتحاد والترقي وهجموا على نادي الجمعية والنادي العسكري والنادي النسائي...إلخ، وضجت أصوات في استانبول تنادي: "لتحيا الشريعة والموت لتركيا الفتاة".[3]

هزت هذه الثورة الرجعية كما سماها ساطع الحصري كيان العهد الجديد حيث أنها قامت قبل أن تتم المشروطية شهرها التاسع على يد الجنود والدراويش وعدد كبير من رجال السلطان عبد الحميد السابقين، ومن أبرز زعمائها "درويش وحدتي" الذي عمل تحت شعار الغيرة على الدين، وكان رجاله يعتقدون أن المشروطية مخالفة للشريعة الإسلامية، فالواجب الديني يقضي بإلغائها وإعلان الشريعة المحمدية، حيث راحوا يتفرقون ويبحثون في كل حارة عن شبان الضباط ليقتلوهم، ولهذا السبب قررت جمعية الاتحاد والترقي على الفور بتحريك جيش نحو العاصمة لتأديب العصاة والقضاء على الرجعية، وسمي هذا الجيش بجيش الحركة.[4]

---

[1]–اسماعيل نوري الدوري، المرجع السابق، ص 347.

[2]–محمد حرب، المصدر السابق، ص 20.

[3]–اسماعيل نور الدوري، المرجع نفسه، ص 347.

[4]–ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 112.

اجتمع جيش الحركة مع المبعوثان وأعضاء مجلس الأعيان في "أياستفانوس" وقرروا خلال اجتماعهم هذا خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، وإجلاس ولي العهد "محمد رشاد" باسم السلطان محمد الخامس.[1]

أتت هذه الحركة الارتجاعية كلها بالنصر لليهود، حيث قام الجيش بحركته الحاسمة متقدما نحو "يلدز" طالبا إزاحة العرش من تحت سلطانه، فتقدم 3 من أعيان الدولة مسلم مأجور، ويهودي حقود، ونصراني موتور، قدموا للسلطان عبد الحميد ورقة التنازل عن العرش، فقبل السلطان التخلي عن العرش حقنا للدماء، وقد صرح بذلك في رسالة إلى الشيخ "محمد أبو الشامال" قائلا: "إني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد الترقي المعروفة باسم جون ترك، وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة، إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا عليا بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة "فلسطين"...فرفضت... وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي".[2]

وهكذا طويت صحائف تاريخ السلطان عبد الحميد الثاني، وتوطدت أركان العهد الجديد والمشروطية الثانية، وهكذا عومل السلطان عبد الحميد من قبل تلاميذ المدارس التي أنشأها هو، كما عومل قبله عمه السلطان عبد العزيز من جانب الجنود الذين سلحهم هو بنفسه.[3]

المبحث الثالث: سياسة التتريك وتبني القومية الطورانية

كانت جمعية الاتحاد والترقي خليطا من أجناس وأديان مختلفة، والدوافع التي سيرتها كانت دوافع متعددة كتعدد عناصر تكوينها، غير أن هدفها الرئيسي كان القضاء على حكم السلطان عبد الحميد الفردي، وإقامة حكومة صالحة للدولة على أساس انصهار الأجناس

---

[1]–ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 112.

[2]–أنور الجندي: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ط1، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987م، ص 108.

[3]–عبد العزيز العظمة: مرآة الشام تاريخ دمشق وأهلها، تحقيق نجدت فتحي صفوة، رياض الرئيس للكتب والنشر، ص 208.

كلها، والجدير بالذكر أن دستور 1908م لم يكن سوى المشروع الذي قدمه مدحت باشا سنة 1876م أعيدت إليه الحياة بجر قلم بكل ما فيه من نقائص، حيث أصبحت أشد سوءا.[1]

وبعد توليهم زمام الحكم وإعلان الدستور لم يتسلموا الحكم مباشرة في بادئ الأمر بالرغم من أكثريتهم البرلمانية، بالإضافة إلى أنهم لم يشركوا في وزارة كمالباشا[2]التي تألفت بعد إعلان الدستور إلا بوزير واحد، وذلك ليظهروا بمظهر السلطة غير المسؤولة، ولكي يديروا الأمور بالخفاء مع إلقاء مسؤولية الأخطاء على غيرهم، كما حرصوا على وضع السلطان والصدر الأعظم تحت الرقابة الشديدة.[3]

وبالرغم من ذلك نرى أن دستور 1908م قد قوبل بحمايته، حيث كان التهليل له والابتهاج به بين القومين العرب أكثر مما كان من غيرهم، فقد دفعتهم الفورة الأولى من شعورهم بالخلاص إلى فهمه فهما غير صحيح، فتوهموا أنه الحرية الحقيقية، فأخذا الناس حميا التآخي، فتآخى الأتراك والعرب، والمسلمون والمسيحيون وهم يعتقدون إعتقاد مخلصا أن الدستور سيسد حاجات كل واحد منهم.[4]

إلا أن المسيطرين على جمعية الاتحاد والترقي وخاصة المنتمون ليهود الدونمة منهم سعوا بل نجحوا في تقطيع أوصال الخلافة والتوجه نحو سياسة قومية تركية[5] والجدير بالذكر أن الجمعيات التي كانت تدعوا لدوام ارتباط الأتراك بالعرب لم يعد الاستمرار في هاته

---

[1]– جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص 176، 177.

[2]–هو قبرصي ولد عام 1832م وقيل 1826م في مدينة لفقوشة بقبرص، انتقل إلى مصر عام 1847م درس في المدرسة العسكرية عام 1851م، وانتقل إلى الأستانة ثم عين مديرا للأوقاف بقبرص، ثم وزير للأوقاف ثم تولى رئاسة الوزارة في الدولة العثمانية أيام تمرد البلغارين، توفي عام 1913م بقبرص، ينظر سلمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق،ص 50.

[3]–توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 117–118.

[4]–جورج أنطونيوس، المصدر نفسه، ص 176–177.

[5]–هدى درويش: حقيقة يهود الدونمة في تركيا "وثائق جديدة"،ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003م، ص37.

الدعوة مرغوبا فيه خاصـــة من قبل العناصـــر القومية في جماعة الاتحاد والترقي بعد أن استفادت بمجهودها في خلع السلطان عبد الحميد.[1]

كانت شعاراتهم الحرية–العدالة–المساواة، لكنهم خدعوا الأمة بهذه الشعارات حيث قضوا على الحرية والعدالة والأخوة، ودأبوا على الاستبداد في الرأي والحكم، فلم يقبلوا مشاركة من أحد ولا مشورة، وأوقفوا الجرائد المناوئة لهم، وتلاعبوا بالانتخابات لصالحهم، وهذا ما أشار إليه الجنرال جودت رفعت قائلا: "أن جمعية الاتحاد والترقي التي خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه هي التي أقامت الاستبداد بعد ذلك، وشهدت البلاد المآسي ما لم تشهده خلال ثلاث وثلاثين ســـنة من حكم الســـلطان"،[2] والحق أنهم أعلنوا عن نواياهم في تتريك بقية العناصر الممثلة لشعوب الخلافة، وكان من أبرز الداعين لضرورة قيام دولة تركية طوارنية تجمع أتراك العالم في دولة واحدة، وتتريك البلدان التابعة للدولة العثمانية هو اليهودي "موئيز كوهين[3]".[4]

ونتيجة لذلك غدت الدولة العثمانية تركية في مضـــمونها قومية في عصـــبيتها بعدما كانت عثمانية في مضمونها وإسلامية في رابطتها، في واقع الأمر نستطيع القول أن جمعية الاتحاد والترقي تأثرت بقوة الأفكار القومية الطورانية التي تدعوا إلى تحرير الأتراك، مدعين أن الشعوب الإسلامية في الأناضول وآسيا الوسطى تشكل أمة واحدة، وهي الأفكار التي

---

[1]–زكرياء سليمان بيومي: قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضرب الاتجاه الإسلامي، ط1، عالم المعرفة، 1991م، ص 271.

[2]– سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص 58–59.

[3]–موئيز كوهين:كاتب يهودي كان عضوا أساسيا في جمعية الاتحاد والترقي، انظر، هدى درويش، المرجع السابق، ص 38.

[4]–هدى درويش، المرجع نفسه، ص 38.

تطورت أخيرا بمجهودات بعض كتاب الجمعية على رأســـهم كوك ألب[1]،فأتبعت الجمعية سياسة التتريك، وفرضت المركزية الإدارية، وتتريك الدولة بكل قومياتها.[2]

ويعبر لنا فصيل من المؤرخين عن سياسية التتيرك على أنها سياسة تعتمد على إنشاء أمة تركية قومية بحتة، تعتبر الأتراك عنصرا نقيا له سماته السلالية والتاريخية،[3] بالإضافة إلى أن الترك من أقدم الأمم البسيطة وأعرقها مجدا، وأسبقها إلى الحضارة، وأنهم متجانسون مع الجنس الماغولي وعليهم أن يرجعوا جنســا واحدا كما كانوا،[4] وبالغوا في التمييز الفاحش بين أجناس الرعية في الغنم والغرم، كهضـــم الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصـــب والارتزاق من بيت المال هضـــما لا شـــبيه فيه، لأنها مميزة عليهم حال كونهم ثلثي رعيتها الجركس والبشـــناق والأكراد والأرناؤوط والروم والأرمن والخروات والبلغار والعربكبير، وكذلك اسـتثناء غير المسـلمين من الخدمة العسـكرية لمجرد كونهم لا يتحملون حالة الضـنك التي عليها الجيش.[5]

والحق أن في هذه الفترة المدروســـة كان هناك ثلاثة قادة بارزين في جمعية الاتحاد والترقي تحكموا في مصير الدولة، اختلفت اتجاهاتهم في بادئ الأمر، حيث أن الاتجاه الأول

---

[1]–كوك ألب: ضياء كوك ألب ولد في ديار بكر عام 1876م، تأثر في شبابه ببعض الملاحدة واليهود، انتقل إلى الأستانة عام 1896م وانتخب عضوا في جمعية الاتحاد والترقي السرية، وفي عام 1922 انتخب نائبا عن ديار بكر في البرلمان، توفي في أكتوبر 1942م ودفن بمقبرة السلطان محمود، ينظر، أبو الحسن علي الحسين الندوي– الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط 1،دار القلم، الكويت، 1983م، ص 41.

[2]–علي محمد صلابي: السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية، المرجع السابق، ص 77.

[3]–فتحي زغروت: النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، ط1، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، 2009م، ص 647.

[4]–شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجان نويهض، المجلد1،ج1, دار الفكر، ص 158.

[5]–عبد الرحمان الكواكبي: أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1931م، ص 151.

الذي كان يمثله "طلعت باشـــا"[1]، كانت آراؤه تميل إلى فكرة الجامعة العثمانية،[2] وكانت الدعوة إليها هي أول اتجاه تبناه رجال الاتحاد والترقي، حيث كانت نظرتهم في بادئ الأمر من خلال ذلك المنظور الطيب إذ أنهم يريدون أمة عثمانية يتســـاوى فيها جميع الرعايا في الدولة على اختلاف جنســـياتهم، وقد وجد هذا الاتجاه اعتراضـــا لدى القوميات الأخرى غير التركية، إذ رأت أن تمســـكها بالعثمانية يعني تخليها عن قوميتها الأصـــلية،[3] على غرار الاتجاه الثاني الذي اتبعه أنور باشـــا حيث كان ميالا إلى فكرة الجامعة الإســـلامية[4] التي التجأت إليها الجمعية لا إيمانا بأهميتها، وإنما حرصـــا على مصـــلحة الدولة والمحافظة على كيانها، وفي حقيقة الأمر أنهم كانوا يلجؤون إليها كلما أحوجتهم الظروف، كما حدث في محنتهم في الحرب الطرابلســـية مع إيطاليا وحروب البلقان، إلا أن أملهم في هذا الاتجاه سرعان من ضاع أدراج الرياح بسبب اندلاع الثورات في ألبانيا، اليمن وحوران.[5]

في حين كانت نزعة جمال باشـــا[6]نزعة طوارنية، حيث أثرت لاحقا في العلاقات التركية–العربية،[7] وظهرت الدعوة إلى هذه النزعة أو كما يســـميها بعض المؤرخين الجامعة

---

[1]–طلعت باشا: محمد طلعت باشا ولد بأدرنة عام 1874م، درس القانون بسالونيك مدة من الزمن، تقلد مناصب عديدة بالدولة العثمانية، وقدم خدمات كثيرة لجمعية "تركيا الفتاة"، هرب إلى ألمانيا عام 1918م، قتل هناك في مارس 1921م، ينظر علي حسون تاريخ الدولة العثمانية، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 192.

[2]–سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص 55.

[3]–فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 648.

[4]–سليمان بن صالح الخراشي، المرجع نفسه، ص 56.

[5]–فتحي زغروت، نفسه، ص 648.

[6]–جمال باشا: أحمد جمال باشا ولد سنة 1873م، تخرج من المدرسة العسكرية بالاستانة، تقلد عدة مناصب عسكرية بالدولة وصار يترقى فيها إلى أن عين وزيرا للبحرية العثمانية ورئيسا للحكومة في بلاد الشام التي اتخذها مقر لقيادته، ولما انهزمت الدولة في الحرب العظمى هرب مع بقية الزعماء الاتحاديين خارج البلاد، وتنقل بين ألمانيا وسويسرا وروسيا وأفغانستان، قتله الأرمن في تفليس في 19 جويلية 1922م، ينظر زكى محمد مجاهر الأعلام الشرقية، ج1، ط1، مطبعة دار الطباعة المصرية الحديثة، القاهرة، 1949م، ص 50–51.

[7]–ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 123.

الطورانية بعد حرب البلقان ســـنة 1913م، حيث ثبت للاتحاديين عدم جدوى الاتجاه الأول والثاني بينما بقي الاتجاه الأخير "الحركة الطورانية" عماد دعوتهم في سياسة التتريك.[1]

كان شـعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الإسـلامية، إلا إذا كانت خادمة لنفوذ القومية الطورانية، فتكون عند إذن واســـطة لا غاية، وقد غلا كثير من هذه الفئة في الطورانية حتى قالوا: "نحن أتراك فكعبتنا طوران"، وتغنوا بمدائح جينكيز خان، ويعجبون بفتوحات المغول ولا ينكرون شـيئا من أعمالهم، حيث أن الشـاعر الطوراني محمد أمين بك يقول: "نفتخر به لكون تشـكيلاته العسـكرية كانت في غاية الانتظام"، أما بخصـوص أعمال التخريب المعروف بها شـعب المغول فهو يبرر ذلك بأن دواعي الحروب تقتضـي ذلك، ويضـيف على هذا بإعطاء أمثلة عما فعله الألمان في شـــمالي فرنســـا مع أنهم أرقى أمة متمدنة، فهذه وجهة نظرهم بالنسبة لما اشتهر به المغول من العبث والفساد في الأرض.[2]

وتعدى هذا إلى أن أصـــبحت لفظة طوران من أكثر الألفاظ مثالية وإجلال والجدير بالذكر أن "كوك ألب" عبر عنها قائلا: "إن موطن الأتراك ليس تركيا ولا تركســتان إنه أرض طوران العظيمة الخالدة"، كما تغنى بكل فخر واعتزاز بطورانية قائلا: "إن تســألني عن قومي فإن أمتي قائمة من خمسـة آلاف سـنة، وإن تسـألني عن نسـبي وأرومتي، فنسـبي للترك إذا قطعنا الحراب فليس لنا غنى عن وحدتنا، جئنا كلنا من صـلب واحد، يجمعنا الدين واللسـان، إذا إعتورت الخطوب دولتي فأنا لا أنسـى قوميتي، يا ابن الترك لا تقل أنا، أنت، هو كل هذه إن هي إلا كلمات زائلة ويجب أن تضمحل وتتلاشى أمام اسم طوران الكبيرة.[3]

تقوم فكرة الطورانية على أســـاس التأليف بين الناطقين باللهجات التركية أولا ثم تكوين إتحاد حلفي منهم ومن الأمم التي أصلها طوارني، كما يقوم أساسها الفلسفي على ربط أتراك

---

[1]–فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 648.

[2]– شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص 158.

[3]–توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 583.

الدولة العثمانية بسائر أجناسهم خارج الدولة، وتحرير التراث التركي والثقافة واللغة من المؤثرات العربية والفارسية، والحق أنهم عملوا على سيادة العنصر التركي وتفوقه بتتريك سائر الجنسيات في الدولة، كما دعى الفيلسوف الطوارني "كوك ألب "الذي أُستمدت القومية الطورانية من أفكاره إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب، وإعادة تكونها تكوينا غربيا قوميا خالصا، واعتبر الطورانية أساس دولي عالمي، ورأى فيها عوضا عن الخلافة الإسلامية، ويدعم هاته الأفكار إلى جانبه كل من يوسف آقشور بك، جلال نوري بك، وآغا أوغلي أحمد بك، وغيرهم كثيرين.[1]

والقائمون على هذه الحركة أو الاتجاه الطوراني هم قوم مشهورون بعدائهم للإسلام، وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره، بحجة أن الإسلام يسعى لقتل العصبية القومية ويحول دون نشوء المدينة التركية،[2] حيث طبقوا سياسة التتريك منذ سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على الحكم إلى غاية إنتهاء الحرب العالمية الأولى، أي منذ حوالي 1908م إلى غاية 1918م، والحق أنهم قاموا بسياسة طائشة طبقواها في الدولة العثمانية، تهدف إلى طبع الدولة كلها بطابع تركي محض.[3]

وتعددت مجالات التتريك ففي الجانب السياسي نرى أن دعوة الأستتراك بدأت بعد ظهور قضية المركزية واللامركزية في عام 1909م، حيث كان الإتحاديون يلتزمون إلى جانب المركزية، أما حزب الحرية والائتلاف المناوئ لهم فقد إتخذ من اللامركزية شعارا له فانتسب إليه معظم العناصر غير التركية.[4]

---

[1]– فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 650.

[2]– محمد الخير عبد القادر: نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، ط1، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي، 1985م، عابدين، مصر، ص 51.

[3]– محمد فاروق الخالدي: المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، ط1، دار الراوي، المملكة العربية السعودية، 2000م، ص 98.

[4]– علي حسون، المصدر السابق، ص 276.

وكانت الشرارة التي أضرمت نار الحقد بين العناصر المختلفة في الدولة هي ما كتبه حسين حامد في جريدته "طنين"، وهو الذي كان معروفا بتعصبه لنعرته الجنسية حيث قال: "إن الأمة التركية كانت وستظل هي الأمة الحاكمة في السلطنة العثمانية وأن الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية بصفتهم فاتحين... وأن الدستور العثماني لا يمكن أن يكون في شكله النهائي سوى دستورا تركيا".[1]

والجدير بالذكر أنه بعدما كان السلطان عبد الحميد قد أحاط نفسه بالعرب السوريين، فقد كان مستشاره الروحي من ولاية حلب، ومستشاره السياسي من دمشق، وغيرهم من المسؤولين العرب، لكنهم قوبلوا بالطرد والإحالة على التقاعد من طرف الاتحاديين، وهذا التصرف إن دل على شيء إنما يدل على إحتكار الأتراك للسياسة.[2]

ونلاحظ التتريك في الجانب الديني من خلال إحياء جماعة الاتحاد والترقي ومتبنوا القومية الطورانية ذكرى الجاهلية التركية كالوثن التركي "بزقورت" والذئب الأغبر[3]،ولهذا الوثن أناشيد يترنمون بها، والتزموا شعائر عدم التدين وأهملوا الجامعة الإسلامية.[4]

أما في جانب اللغة فيجدر بنا القول أن فكرة القومية عند العثمانيين بدأت على شكل حركة لغوية أدبية، وارتقت إلى الدعوة لعدم الاقتباس من اللغة العربية والفارسية، ثم برزت

---

[1]–توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 95، 96.

[2]–فيليب خوري: أعيان المدن والقومية العربية، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان،1993م، ص 98.

[3]–الذئب الأغبر: هو شعار الذئب الأبيض، اتخذه الأتراك القدامى شعارا عندما انسحب هؤلاء الأتراك إلى "أركنة قونة" بعد انهزام أصابهم، بقوا في مجموعة من البقاع محاطة بسلسلة من الجبال، وعندما تكاثروا فيها أخذوا يبحثون عن مخرج، وتصادف أنهم أضرموا النار على سفح جبل، وأذابت تلك النار الحديد فانفتحت منه فوهة، وكان أول من مر على هذه الفوهة ذئب أغبر، فمشى القوم على أثر ذلك الذئب، ثم خرجوا وفتحوا بعدها الدنيا ،انظر، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 651.

[4]–مصطفى حلمي: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن الجوزي، مصر، 2005، ص 131.

المطالبة بتبسيط اللغة، فحذفت كل من اللغتين العربية والفارسية من المدارس الابتدائية، وكانت بعض الجماعات تود تتريك اللغة تماما، حتى سادت نظرية شمس اللغات.[1]

ولتدعيم فكرة تتريك اللغة أسست أكاديمية تركية عام 1912م، وترجم القرآن الكريم إلى اللغة التركية، ثم أنشئ "اتحاد يني لسان" أي اللغة الجديدة، واتحاد "يني حياة" أي الحياة الجديدة لتنقية اللغة التركية من الألفاظ العربية والفارسية.[2]

كما حاولوا فرض اللغة التركية على مختلف العناصر والأجناس في الدولة بمن فيهم العرب وهذا بطبيعة الحال سوف يكون على حساب اللغات القومية لهذه العناصر، وتم ذلك في المدارس الأهلية والحكومية بهدف التتريك، كما تم ذلك أيضا في المحاكم إذ اشترطوا أن تكون المرافعات باللغة التركية، كما حرم الأعضاء التحدث باللغة العربية في مجلس المبعوثان.[3]

إن المغول الأتراك كما يسميهم عبد الرحمان الكواكبي أي العثمانيون يفتخرون بمحافظتهم على غيرية رعاياهم لهم، فلم يسعوا باستتراكهم كما أنهم لم يقبلوا أن يستعربوا، والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا ويتألمنوا، ولا يعقل لذلك بسبب غير شدة بغضهم للعرب، كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الأمثال في حق العرب كإطلاقهم على المصريين "كور فلاح" أي الفلاحين الأجلاف، وعلى عرب الحجاز "ملنجي عرب"أي العرب الشحاذين.[4]

ونتيجة لهذه الأسباب وأسباب أخرى كشد قبضة الحكم المركزي الاستبدادي مع أن وضع الدولة التي كانت تضم مختلف الأجناس لا يسمح بنظام الحكم المركزي، إلا أنهم أصروا على سياستهم، وركنوا إلى العنف والشدة، مما أدى إلى ظهور نتائج عكسية تخدم

---

[1]–علي حسون، المصدر السابق، ص 275.

[2]–فتحي زغروت، المرجع نفسه، ص 649.

[3]–فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 653.

[4]–عبد الرحمان الكواكبي، المصدر السابق، ص 151.

مصـالح الأعداء، وردود فعل عنيفة خاصـة من قبل العرب، تمثلت في إحياء القومية العربية التي كانت تذكيها الدول الأوروبية النصرانية بالإضافة إلى نصارى العرب، وإنشاء جمعيات مختلفة عارضت حكم الاتحاديين ووقفت في وجوههم،[1] وتبنت آراء ثورية، حيث يقول عوتي عبد الهادي أحد رواد الحركة القومية العربية في مطلع القرن العشرين: "أيقظ الدستور الحس القومي في نفوسـنا وترعرع هذا الحس بفعل المنازعات التي كانت تنشـب بيننا وبين الأتراك".[2]

كما كان حل الاتحاديين لجمعية "الإخاء العربي العثماني" التي أنشئت خلال فترة شهر العسل التركي–العربي، ورسمت هدفها الرئيسي الذي كان أساسه المحافظة على الدستور وتوحيد جميع العناصر في الولاء للسلطان، وتحسين أوضاع المقاطعات العربية على أساس المساواة الحقيقية مع الأجناس الأخرى في الدولة.[3]

وتجسدت فكرة القومية العربية على شكل نوادي أدبية، حيث كان "المنتدى الأدبي" أول هاته النوادي والذي لعب دورا هاما في جمع الطلبة والقادة العرب، وبعد مدة وجيزة قامت الجمعية "القحطانية السرية" 1909م على يد جماعة أشد جرأة من جماعة "المنتدى الأدبي"، كان هدفها هو إقامة إمبراطورية تركية عربية على شاكلة الإمبراطورية "النمساوية الهنغارية "، تأسـسـت بعدها جمعية "العربية الفتاة" 1911م، وكان هدفها هو العمل من أجل اسـتقلال العرب وتحريرهم من الحكم التركي، ومن أخطر المنظمات العربية هي جمعية "العهد السرية" 1913م.[4]

---

[1]–سلمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص 67–68.

[2]–عبد الوهاب الكيالي: المصدر السابق، ص 46.

[3]–جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص 177.

[4]–عبد الوهاب الكيالي، المصدر نفسه، ص 47.

والجدير بالذكر أن معظم الجمعيات العربية الآنفة الذكر طالبت باســـتقلال العرب عن الترك، ووصل الأمر ببعضـهم إلى الاستنجاد بالعون الأجنبي الأوروبي طلبا للخلاص، تحت اسم تحضر المنطقة ورفع مستواها.[1]

وصـفوة القول أنه رغم هذا الاضـطراب التركي العربي إلا أن هناك صـيحة تركية ممن يؤمنون بالأخوة التركية العربية نادى بها الكاتب العثماني خالد خليل في كتابه العرب والترك قائلا: "أيها العرب والترك، أحذروا أولئك الذي يريدون أن يبثوا الشـــقاق بينكم فيوقعوا بينكم، وأنبذوا الضـنون السيئة التي منشأها الجهل، وتفهموا بعضكم البعض جيدا، والعالم الإسـلامي قد حول أنظاره إليكما وحصـــر آماله فيكما ينتظر اتحادكما، وثقوا العرى القلبية التي تجمعكم وأحبوا بعضكم بعضا ما استطعتم حتى تفوزوا برضا الله".[2]

[1]–علي حسون، المرجع السابق، ص 298.

[2]–خالد خليل: العرب والترك، تر: عمر رضا، مطبعة الهداية، مصر، ص 34.

الفصل الثالث

تداعيات حكم جماعة الاتحاد والترقي على البلاد العربية العثمانية

المبحث الأول: طرابلس الغرب (ليبيا)

المبحث الثاني: بلاد اليمن والحجاز

المبحث الثالث: الهلال الخصيب

المبحث الأول: طرابلس الغرب (ليبيا)

استمرت ليبيا إيالة عثمانية لأكثر من 03 قرون، من منتصف القرن 16م إلى أوائل القرن 20م، حيث كانت ليبيا العثمانية تعرف بطرابلس وبرقة، وأحيانا بطرابلس الغرب فقط،[1] وبعد استكمال إيطاليا لوحدتها القومية سنة 1870، وخروجها لحلبة الاستعمار وجهت أطماعها للشمال الإفريقي وتحديدا لتونس، غير أن احتلال فرنسا لها عام 1881م وجه ضربة لأطماع إيطاليا فيها، مما جعلها تحول أنظارها إلى ليبيا، الولاية الوحيدة التي بقيت تابعة للدولة العثمانية في الشمال الإفريقي.[2]

إلا أن تمسك الدولة العثمانية بولاية طرابلس الغرب في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، وقوة نفوذ الحركة السنوسية[3] داخل ليبيا، وحسن التنسيق بين الطرفين أدى بإيطاليا إلى تأجيل مشروعها في ليبيا حتى سنة 1911.[4]

ويمكن القول أن تولي جماعة الاتحاد والترقي الحكم في تركيا قد عجل بضياع طرابلس الغرب فسياسة التتريك التي سارت عليها تلك الحكومة في الولايات العربية لم تلق ترحيبا من قبل السنوسية هناك، بل إنها وقفت موقف عدم التأييد من إنشاء جمعية الاتحاد والترقي في بني غازي، بسبب رأي الاتحاديين في بعض الأمور الدينية التي كان السنوسيون يخالفونهم

---

[1]–بوزبوحة سميرة، الطريقة السنوسية 1911– 1951م مواقفها من قضايا العصر محليا– إقليميا– دوليا، أطروحة دكتوراه، إشراف فغرور دحو، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2018، ص 45.

[2]–رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، محافظة الجيزة، مصر، 1996، ص 114.

[3]–الحركة السنوسية:نشأت في برقة في منتصف القرن 19م على يد رجل جزائري قضى أكثرعمره في مكة، ووقف نفسه على الدعوة لإصلاح العقيدة الإسلامية، وكانت تعاليم هذا الحركة كثيرة الشبه بتعاليم الحركة الوهابية في الدعوة إلى الرجوع إلى أساليب صدر الإسلام وعاداته، كما أن الزوايا التي أنشأتها في أنحاء البلاد مكنتها من أن يكون لها نفوذ سياسي كذلك، وأن تجند المتطوعين لأغراض عسكرية ومن مميزات هذه الحركة أنها شجعت الناس على الإستقرار والزراعة، أنظر:جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص199، 200.

[4]–بوزبوحة سميرة، المرجع نفسه، ص 72.

فيها، مما نفر الليبيين من الحكم العثماني، وجعل العثمانيين مسؤولين عن حدوث الغزو الايطالي لليبيا.[1]

لقد ظهرت نية جماعة الاتحاد والترقي نحو الأمة العربية بفرض عمليات التتريك على هذه الولايات العربية، ولما أظهرته هذه الجمعية من إهمال لأمور هذه الولايات وخاصة ليبيا، وقد ظهر هذا الإهمال المتعمد جليا بالنسبة لليبيا في عدة أمور سهلت وقوعها في أيدي الطليان.[2]

كانت ليبيا ولاية نائية، محصورة بين مصر المحتلة من الإنجليز، وبين تونس المحتلة من الفرنسيين، ولانغالي إذا قلنا أن الدولة العثمانية ما كانت قامت بعمل يستحق الذكر، لا في سبيل استكمال وسائل الدفاع عنها، ولا في سبيل توفير وسائل العمران فيها.[3]

لقد أهملت الدولة العثمانية شؤون ليبيا الاقتصادية في وقت عانت فيه البلاد القحط، مما جعل الأهالي عرضة للمجاعة والمرض، وقد مات عدد كبير دون أن تحرك ساكنا، إن لم نقل أن ذلك كان متعمدا من قبل الوزارة التركية حتى لا يستطيع الأهالي المقاومة عند الغزو الإيطالي.[4]

أدارت الدولة العثمانية في عهد جامعة الاتحاد والترقي، وحكومة حقي باشا[5] ظهرها لليبيا، الولاية الوحيدة الي تدين بالتبعية للدولة العثمانية من الشمال الإفريقي، فهي ولاية فقيرة

---

(1)–رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص 116.

(2)–رأفت الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، ط1، دار التنمية للنشر والتوزيع، مصر، 1972، ص 173–174.

(3)–ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 173.

(4)–رأفت الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، المرجع نفسه، ص 175.

(5)–حقي باشا، أحد السياسيين الأتراك، تولى منصب سفير لبلاده لدى إيطاليا، ثم شغل منصب الصدر الأعظم في الفترة التي تم فيها غزو إيطاليا لطرابلس الغرب، وقد لعب الطليان واليهود دورا هاما في تعيينه، تزوج من إيطالية، وقدم تسهيلات كبيرة للطليان لاحتلال طرابلس الغرب. أنظر: مصطفى على هويدي، إيطاليا وفكرة إحتلال ليبيا، مجلة كلية الآداب، العدد25، دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلام، 2018،ص64.

لا تدر أموالا طائلة على الدولة صاحبة السيادة، ولذلك لم تفعل شيئا ضد الأطماع الإيطالية الواضحة، بل إن رئيس الحكومة حقي باشا متهم بالتواطؤ مع الطليان لتسليمهم الولاية.[1]

لقد كان الوجود العسكري العثماني في ولاية طرابلس الغرب محدودا، ولعل أوضح ما يبين ذرك مذكرة[2] ممثلي الولاية في مجلس المبعوثان في استانبول، التي وصفت الحالة العسكرية السيئة التي وصلت إليها الولاية في عهد حكومة الاتحاديين، حيث جاء الحديث فيها عن انقاص الجيش الذي كانت تتراوح أعداده من خمسة عشر ألفا إلى عشرين ألفا من الجيش النظامي، وأعداد أكبر من جنود الاحتياط الذين يمكن استخدامهم وقت الحاجة إليهم.[3]

حيث قام حقي باشا بسحب معظم كتائب الحامية العثمانية الموجودة بالولاية، ووجهها لليمن، إبان قيام الثورة فيها ضد الدولة العثمانية، وترك الولاية بدون قوات كافية للدفاع عنها ضد الطامعين فيها.[4]

وأوضحت المذكرة أيضا إهمال تجنيد أهالي طرابلس، رغم ما كان يبعث به الأهالي من طلب بهذا الخصوص لإحساسهم بالخطر الداهم حتى يكونوا في مأمن من اعتداء العدو الطامع في أرضهم، وتحدثت المذكرة عن اهتمام حكومات العهد العثماني السابق بتوفير السلاح للقوات النظامية والأهالي، للدفاع عن البلاد من الاعتداء عليها، في حين أن وزارة حقي باشا سحبت نحو أربعين ألفا بندقية بحجة استبدالها بأخرى ولم تعوض عنها بغيرها، وحتى المدافع والأسلحة الضخمة التي كانت ترسل في العهد السابق تم إيقاف إرسالها.[5]

---

[1]–رأفت الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 174.

[2]–بخصوص المذكرة المقدمة لمجلس المبعوثان. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط3، دارف المحدودة، لندن، المملكة المتحدة، 1984، ص ص61– 70.

[3]–عبد المنصف حافظ النوري، الغزو الإيطالي لليبيا، دراسة في العلاقات الدولية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 1983، ص 96.

[4]–رأفت الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة،المرجع نفسه ص 174.

[5]–عبد المنصف حافظ البوري، المرجع نفسه، ص 97.

وأخيرا تناولت المذكرة تقصـــير حكومة حقي باشـــا في إعداد الولاية لمواجهة العدوان الإيطالي رغم علمها بنوايا إيطاليا الاستعمارية، وإبعادها الضباط العرب أو الذين يجيدون فهم اللغة العربية ويعرفون أحوال البلاد الطبيعية والعسـكرية، ويمكنهم قيادة فرق الأهالي بصـورة أفضل من غيرهم.[1]

إن هذه المذكرة عبارة عن احتجاج صـــارخ على خيانة حقي باشـــا وحكومته، قدمها النواب الطرابلســيون أداءً للواجب، ووفاءً لحقوق الوطن، وقد أحال مجلس النواب التركي هذا التقرير إلى لجنة خاصـة ألفت للبحث فيما سببه حقي باشا ووزارته من خيانة لمحاكمته، لكن هذه المذكرة لم تحقق شـيئا يذكر، لأن سـياسـة حقي باشـا ووزارته كانت متماشـية مع آراء جمعية الاتحاد والترقي التي كانت قابضـــة على زمام الأمور في الدولة العثمانية عامة وبطرابلس خاصـــة، فمن غير المعقول أن يحاكم حقي باشـــا ووزارته مادام ينفذ آراء الجمعية وحائزا على رضاها.[2]

ولقد ذكر شـــكيب أرســـلان ان أنور باشـــا قال لأحد قادة جمعية الاتحاد والترقي وهو يناقشه: "... لقد أهملنا طرابلس إهمالا فضيعا ضاقت فيه فسحة العذر..."[3]

ونظرا لهذه الحالة المتردية التي وصلت إليها طرابلس الغرب استسهل الطليان احتلالها، حيث عبر أحد أركان الحرب الإيطاليين عن الحملة التي سيسـوقوها عن طرابلس بأنها "نزهة بحرية" وقدروا مدة زمنية قصيرة للسيطرة عليها (خمسة عشر يوما).[4]

وقد رأت إيطاليا أن تتفاوض مع الدول الأوربية في هذا الشـــأن لتحصـــل على موافقة بعضـها، ومسـاعدة بعضـها الآخر لتحقق غايتها، فاسـتطاعت أن تعقد سـلسـلة من الاتفاقيات

---

[1]–عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 97.

[2]–الطاهر أحمد الزاوي، المصدر السابق، ص 71.

[3]–شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، المصدر السابق، ص 354.

[4]–الطاهر أحمد الزاوي، المصدر نفسه، ص 76.

السرية لهذا الغرض، مع كل من بريطانيا وإسبانيا وفرنسا والنمسا وألمانيا، وروسيا في الفترة الممتدة من 1887 إلى 1909، وسنكتفى بذكر أهمها.[1]

أول هذه الاتفاقيات عقد مع بريطانيا يوم 1887/02/12م، هذه الأخيرة التي رحبت بهذه الاتفاقية لعدم تعرض مصالحها الاستعمارية لأية مخاوف في منطقة شرق إفريقيا، ومقابل اعترافها بحق إيطاليا في ليبيا، تساند بريطانيا في مصر.[2]

ولأن إيطاليا كانت تخشى منافسة فرنسا في طرابلس الغرب، سعت إلى ضمان مساعدة النمسا وألمانيا لها في هذا المضمار ضد فرنسا، وذلك بالانضمام إلى الاتفاق الثنائي الذي كان بينها وبين بريطانيا، وتحويله إلى اتفاق ثلاثي ثم إضافة بعض الفقرات أو المواد الجديدة إلى نصوص المعاهدة المتعلقة بذلك، أو بإردافها باتفاقيات سرية جديدة وتجديدها وتمديد مدتها في تواريخ مختلفة ولاسيما في السنوات 1887- 1891- 1902.[3]

وفي سنة 1900 عقدت إيطاليا اتفاقية مع فرنسا حول تحديد مناطق النفوذ في البحر الأبيض المتوسط، وبموجبها تخلت فرنسا لصالح إيطاليا عن جميع مطامعها في طرابلس الغرب، ولقاء ذلك منحتها إيطاليا حرية العمل في مراكش، وأقرت هذه الاتفاقية في عام 1902، ثم أعيد إبرامها في أكتوبر 1912، عندما اعترفت فرنسا وإيطاليا باستيلائهما بصورة متبادلة، كما تم الاتفاق سابقا.[4]

أما الاتفاق بينها وبين روسيا فقد جاء متأخرا نوعا ما بخصوص ولاية طرابلس الغرب، فقد توصلت معها إيطاليا إلى اتفاقية من أكتوبر عام 1909م، ووعدت هذه الأخيرة بتأييد

---

[1]-ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 174- 175.

[2]-مصطفى علي هويدي، المرجع السابق، ص 69.

[3]-ساطع الحصري، المصدر نفسه، ص 176.

[4]-فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، تر: عفيفة البستاني، ط8، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1985، ص 366- 367.

الطموحات الروسية في المضايق، وفي المقابل تركت روسيا إيطاليا حرة في ولاية طرابلس الغرب، وتعهدت لها روسيا بعدم وجود أطماع لها في الولاية.[1]

وهكذا حصلت إيطاليا على الاعتراف بحقها في طرابلس من بريطانيا مقابل مصر، ومن فرنسا مقابل مراكش، ومن روسيا مقابل المضايق، ولكنها حصلت على الاعتراف من ألمانيا والنمسا دون تعويض معين بل في نطاق اتفاق عام يشمل جميع العلاقات الخارجية الأساسية.[2]

و استطاعت إيطاليا أن تبني بنجاح شبكة من التحالفات الدولية المؤيدة لمصالحها في ولاية طرابلس الغرب، وكان ذلك أحد الشروط الضرورية لإطلاق حملة الغزو العسكري عليها أواخر سنة 1911.[3]

وبالإضافة إلى التهيؤ الدبلوماسي قامت إيطاليا باستعدادات وافية داخل طرابلس، منذ أن حددت أطماعها في هذه الأراضي،[4] حيث اتبعت الحكومات الإيطالية المتعاقبة على الحكم أساليب ملتوية تساعدها في التغلغل الاقتصادي والدعاية السياسية في الولاية كخطوة تمهيدية للهيمنة العسكرية عليها.[5]

حيث قامت بشراء أصوات رجال الدولة العثمانية أمثال الصدر الأعظم إبراهيم حقي باشا وغيرهم ممن تسلموا أموالا إيطالية وساهموا في تسليم ليبيا لقمة صائغة للإيطاليين.[6]

كما أنشأت بنك "دي روما" الذي تأسس في طرابلس عام 1905م وأصبح له فروع في أنحاء البلاد، والذي اتخذه الطليان مركزا للدعاية، كما كان يقوم بتقديم الفروض للمزارعين

---

[1]–بوزبوحة سميرة، المرجع السابق، ص 82.

[2]–ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 177.

[3]–الحواس غربي، مقدمات الاحتلال الإيطالي لليبيا 1911 بناء التحالفات الدولية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 12، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، ص 205.

[4]–فلاديمير لوتسكي، المرجع السابق، ص 367.

[5]–بوزبوحة سميرة، المرجع نفسه، ص 73.

[6]–رأفت الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 173.

الليبيين ويشتري الأراضي الزراعية من المواطنين بأثمان مغرية، ويستولي على الأراضي التي اقترض أصحابها ولم يسددوا قروضهم.[1]

بالإضافة إلى حركة الرحالة وحركات الكشوف الإيطالية، تحت أسماء وشعارات مختلفة، وحجج وأغراض ظاهرها علمية وحقيقتها جمع أكبر قدر من المعلومات والدراسات حول البلاد المزمع غزوها، ومن ناحية أخرى سمحت بمعرفة ودراسة الموارد الطبيعية التي يمكن استغلالها اقتصاديا في المستقبل.[2]

كما فتحت المدارس الإيطالية المجانية في طرابلس وبرقة لنشر ثقافتها بين الأهالي، إلى جانب المستشفيات والملاجئ الصحية التي كان ظاهرها تقديم الخدمات الإنسانية، وجوهرها التأثير في الناس لصالح إيطاليا، إلى جانب نشاط الجماعات التبشيرية الإيطالية في هذا المجال.[3]

كما أنشأت مشاريع زراعية واحتكرت شركات البواخر الإيطالية الاتصال بين طرابلس الغرب وأوربا، وأعد المهندسون الإيطاليون مشروع سكة حديد طبرق- الإسكندرية، ونشرت مطبوعات كثيرة في إيطاليا عن طرابلس الغرب، وصار الجغرافيون الإيطاليون يسمون هذه البلاد "بأرضهم الموعودة"[4] وصارت الجرائد الإيطالية تهتم بشؤون طرابلس الغرب أكثر من اهتمام الجرائد التركية نفسها، وكثيرا ما كانت تخصص الحقول العديدة لنشر الأبحاث والأخبار عن نشاط الجاليات والمؤسسات الإيطالية فيها من ناحية، وعن سوء تصرف الموظفين العثمانيين القائمين على إدارتها من ناحية أخرى.[5]

---

[1]-الطاهر أحمد الزاوي، المصدر السابق، ص 32- 33.

[2]-نبيل لزعر، المسألة الليبية بين موازين القوى الدولية وردود الفعل الوطنية 1911- 1969، أطروحة دكتوراه، إشراف: بودواية مبخوت، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2020، ص 97- 98.

[3]-رأفت الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 179.

[4]-فلادميرلوتسكي، المرجع السابق، ص 368.

[5]-ساطح الحصري، المصدر السابق، ص 177.

اتبعت إيطاليا هذه الأساليب حتى إذا أتمت استعداداتها وصلحت أحوالها الداخلية قويت جاليتها في ليبيا أقدمت على إرسال جيوشها إلى هذه البلاد لاحتلالها.[1] وفي يوم 26 سبتمبر 1911 تسملت الحكومة العثمانية إنذار إيطالي،[2] بتهمة عرقلة مساعي التحضر وتمدين سكان ليبيا،[3] وبحجة أن الدولة العثمانية تضع عراقيل أمام المصالح الإيطالية الاقتصادية، بالإضافة لمضايقة العثمانيين وحكومة طرابلس الغرب للرعايا الإيطاليين، مما جعلهم في خطر يهددهم، فضلا عن المعاملة السيئة التي تعرضوا لها كالاعتداءات والإهانة والقتل من قبل العثمانيين وسكان البلاد.[4]

وقد تضمن الإنذار تخلي الدولة العثمانية لإيطاليا عن طرابلس الغرب وبرقة، أو أنها ستعلن الحرب عليها، وأعطى الباب العالي مدة أربع وعشرون ساعة ليجيب بالقبول.[5]

أخذ الدولة العثمانية تراوغ وتساوم، ولم ترد على الإنذار الإيطالي إلى يوم 29 سبتمبر وهو نفس اليوم الذي تم فيه إعلان إيطاليا الحرب رسميا على الدولة، أما الحكومة العثمانية فكانت عاقدة الأمل على ردود الفعل العالمية،[6] حيث حاولت التوسط لدة الدول الكبرى لوقف العدوان الإيطالي عليها، إلا أن الدول الأوربية أظهرت الحياد.[7]

بدأ الأسطول الإيطالي ضرب مدينة طرابلس في 03 أكتوبر حيث تمكن من فرض سيطرته عليها في 05 أكتوبر 1911، كما احتل درنة في 18 أكتوبر، وبني غازي في 19

---

(1)–رأفت الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، المرجع السابق ص 180.

(2)–أنور باشا، مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب، تر وتق: عبد المولى صالح الحيرر، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس، ليبيا، 1979.

(3)–إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث المرجع السابق، ص 216.

(4)–محمد وليد عبد المصلح، موقف الدولة العثمانية من الغزو الإيطالي (لليبيا)، مجلة آداب الرافدين، العدد 81، جامعة الموصل، العراق، 2002، ص 130.

(5)–شكيب أرسلان،تاريخ الدولة العثمانية المصدر السابق، ص 345.

(6)–أنور باشا، المصدر نفسه، ص 20.

(7)–محمد وليد عبد المصلح، المجرع نفسه، ص 131.

منه والخمس في 20 منه، وبعدما استولت القوات الإيطالية على هذه المدن الساحلية أعلنت حكومتها ضم ولاية طرابلس بتاريخ 05 نوفمبر 1911،[1] وعرفت هذه البلاد منذ ذلك الحين باسم ليبيا.[2]

لم يكن الاستيلاء الإيطالي على هذه المدن الليبية سهلا، فقد اصطدم بمقاومة عنيفة من أهالي ولاية طرابلس والحامية العثمانية هناك،[3] كما انتقل بعض الضباط والقادة العثمانيين للمقاومة في طرابلس الغرب أمثال أنور باشا، ومصطفى كمال،[4] وعزيز علي المصري[5] وغيرهم، وتكبدت القوات الغازية خسائر فادحة في الأرواح والمعدات ولم تستطع أن تتقدم بعد اقتحامها شواطئ الولاية، فلم تتمكن من أن تفرض احتلالا واقعيا تاما[6].

فقررت الحكومة الإيطالية مهاجمة الدولة العثمانية في مركزها، حيث شرع الأسطول الإيطالي، في منتصف شهر أفريل في التحرك صوب المضايق العثمانية، من خلال احتلال

---

[1]– فلاديميرلوتسكي، المرجع السابق، ص 369.

[2]–مصطلح ليبيا في معناه الحديث هو من ابتداع الإيطاليين الذين استعاروه من الجغرافيا القديمة، وقد أطلق اليونانيون القدماء اسم ليبيا على شمال إفريقية قاطبة، بينما أطلقه الإيطاليون على المقاطعات الواقعة بين تونس ومصر وهي طرابلس الغرب، وبرقة فزان. أنظر: نفسه، ص 364.

[3]–عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 301.

[4]–مصطفى كمال (1881–1938): عسكري وسياسي تركي، ورئيس دولة تركيا من 1923 إلى 1938، وأول رئيس لوزرائها ومؤسس جمهوريتها، وقائد حرب الشعب الجمهوري التركي، وأول متحدث باسم برلمانه، ويعد من قادة حزب الاستقلال الذي قاد الأتراك ضد الحلفاء بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وتمكن من الانتصار على الجيش اليوناني آخر المسيطرين على الأراضي التركية وإخراجهم من البلاد، قام بإلغاء الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية متخذا من العلمانية منهجا، لتسيير أمور البلاد، وعرفت آرائه التي وضعها بالكمالية. أنظر: محمد وليد عبد المصلح، المرجع السابق، ص 131.

[5]–عزيز علي المصري: قائد عسكري، ولد بالقاهرة في مصر وتعلم بها والتحق بالمدرسة العسكرية في استانبول، وتخرج من مدرسة أركان الحرب حوالي سنة 1904، حيث تولى قيادة قتال العصابات البلغارية اليونانية والألبانية، ثم توجه إلى اليمن سنة 1911، وتوسط بعقد صلح بين الدول العثمانية والإمام يحي، تطوع بالجهاد عند احتلال ليبيا لطرابلس الغرب (1911– 1913)، وعاد إلى الأستانة وطرد من الجيش العثماني سنة 1914 وقبض عليه في استانبول وحكم عليه بالإعدام ولم ينفذ فيه، ورحل إلى مصر. أنظر: نبيل لزعر، المرجع السابق، ص 126.

[6]–عبد المنصف حافظ البوري، المرجع نفسه، ص 301.

"جزر الدوديكانيز"[1] في بحر إيجه في 04 ماي 1912، فأصبح الأسطول الإيطالي يهدد السواحل العثمانية، ويمنع الإمدادات العسكرية البحرية لولاية طرابلس الغرب، وذلك بهدف إرغام الحكومة العثمانية عن التنازل النهائي عن هذه الأخيرة.[2]

أحست الحكومة العثمانية بخطورة الاحتلال الإيطالي للجزر القريبة من أراضيها، ولم تستطع مواصلة الحرب ضد إيطاليا نظرا لبداية الحرب البلقانية، ولهذا لجأت إلى عقد الصلح معها، ففي 15 أكتوبر 1912 وقعت اتفاقية تمهيدية سرية، وفي 18 منه أبرمت اتفاقية السلم النهائية في لوزان،[3] والتي عرفت بمعاهدة أوشي، وفي هذه المعاهدة تخلت الدولة العثمانية عن طرابلس الغرب وبني غازي لإيطاليا، ولم يحتفظ السلطان العثماني إلا بحق تعيين الموظفين الدينيين في تلك البلاد.[4]

وفي 20 أكتوبر 1912 أرسلت الحكومة العثمانية إلى جميع الولاة في مملكتها تخبرهم بعقد الصلح، كما أرسلت وزارة الحربية العثمانية إلى القادة الأتراك تعلمهم بذلك وتأمرهم بالانسحاب من ميدان القتال، وأن يسلموا أنفسهم للطليان ليأتوا بهم إلى الأستانة.[5]

وهكذا سحبت الحكومة العثمانية قواتها وتركت البلاد تخوض جهادا شعبيا معتمدا على طاقتها الكامنة ومقوماتها الذاتية، وكانت قيادة المجاهدين مصرة على منازلة العدو الإيطالي رغم كل المحن.[6]

---

[1]–جزر الدوديكاينز: هي مجموعة من الجزر اليونانية يبلغ عددها 12 جزيرة، فضلا عن 150 جزيرة يونانية صغيرة تقع في بحر إيجه بالقرب من الساحل الجنوبي الغربي لتركيا. أنظر: محمد وليد عبد المصلح، المرجع السابق، ص 136.

[2]–بوزبوحة سميرة، المرجع السابق، ص 108.

[3]–فلاديمير لوتسكي، المرجع السابق، ص 371.

[4]–كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: بنيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968، ص 260.

[5]–الطاهر أحمد الزاوي، المصدر السابق، ص 160.

[6]–بوزبوحة سميرة، المرجع نفسه، ص 119.

المبحث الثاني: بلاد اليمن والحجاز

- اليمن:

كانت منطقة اليمن بلدا يفتقد إلى الوحدة السياسية، مجزء إلى عدد كبير من المناطق المستقلة بعضها عن بعض، وكان على رأس بعض هذه المناطق سلاطين أو مشايخ، إلا أنهم لم يكونوا يملكون سوى سلطة شكلية، فسلطة أحدهم لم تكن تتجاوز غالبا حدود الحصن المتمركز فيه، وكانت العشائر مشغولة بصورة دائمة بحروب فيما بينها حول قضايا المراعي والثأر سرقة المواشي، وكانت لتلك الحروب نتائج محزنة فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاستقرار السياسي، وكان القوي يخضع الضعيف ويلحقه بنفوذه، فكانت الفوضى تعم البلاد.[1]

وفي مطلع القرن 19م غزا الوهابيون القادمون من أواسط الجزيرة العربية اليمن ولم يرحلوا عنها إلا في عام 1818م عندما احتلتها الحملة المصرية بقيادة إبراهيم باشا "ابن محمد علي" فأعيدت الإمامة الزيدية، إلا أن السلطنة بقيت بين أيدي ممثلي السلطان العثماني.[2]

والجدير بالذكر أنه بعدما قامت حكومة الإمام يحي[3]بعد وفاة أبيه الإمام المنصور تحمس قائد القوات التركية هناك بصنعاء للقضاء على الحكم الإمامي، إلا أنه هزم شر

---

[1]-محمد عمر الحبشي: اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، تر: خليل أحمد خليل، ط1، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص 14.

[2]-نفسه، ص 11.

[3]-هو يحي حميد الدين الإمام المتوكل على الله من أئمة الزيدية ولد بصنعاء في 1869م خاض حروب متواصلة ضد العثمانيين وانتهت بجلاء العثمانيين عن بلاد اليمن، تم الاعتراف به إماما مستقلا عن شمال اليمن، قتل سنة 1948م على يد معارضيه، ينظر عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج7، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1994م، ص 400-401.

هزيمة حيث تظافرت القوى الوطنية من القبائل التي كانت قد سئمت الوضع القائم هناك،لأنه لا يوجد فيه سلطة وطنية معينة تعنى بالمحافظة على الأمن وإدارة البلاد إدارة صحيحة.[1]

زد على ذلك رغبتهم الجامحة في التخلص من تعسف الأتراك الذين عاثوا في الأرض فسادا، حيث استبدوا في تحصيل الضرائب بشتى الطرق وأعنف الوسائل، وهذا ما زاد في حقد اليمنيين، واشعل نيران ثورتهم ضد الحكم العثماني، إذ كان يخرج المتصرف أو الوالي أو الحاكم العثماني من محل وظيفته إلى الأرياف والجبال ليجمع الأعشار ويجني الضرائب، فيأخذ لنفسه جميع ما يمكنه تحصيله من الأهالي الفقراء ويعود إلى محل وظيفته دون أن يعطيهم سندا أو وصلا، ورغم كل هذا كان الإمام يحي في مدينة "تعز" قد تعاون مع المعتدلين من الولاة العثمانيين حتى قال عن نفسه: "لو خدمت الله تعالى بخدمتي للترك لبلغت بها درجة عيسى ابن مريم عليه السلام"، ولكن الدولة العثمانية لم تراعي معروفه لأنه لم يقدم الرشوة للوالي أو الموظفين.[2]

منذ أن أعلن طلعت بك عن سياسة الحزم والعنف التي أخذ بها، وسحب مشروع إصلاحات اليمن، أصبحت البلاد مسرحا للحروب وثورات جديدة، وأعلن الإمام يحي الجهاد ضد الأتراك وأصدر نداء إلى القبائل كي ينظموا إليه، فبدأ الثوار يفتكون بالجند فتكا ذريعا بين "الحديدة وصنعاء" واستولوا على الأسلحة والمدافع والذخيرة التي كانت في أيديهم، يريدون بذلك التخلص من دفع الضرائب إلى الحكومة والإدارة التركية، ومطالبين بحكام وطنيين، وبالحكم بموجب الشرع الإسلامي.[3]

---

[1]–شرف الدين أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ دراسة جغرافية تاريخية، سياسية شاملة، ط2، مطبعة السنة المحمدية–عابدين، مصر، 1964، ص 268.

[2]–فاروق عثمان أباضة، الحكم العثماني في اليمن 1872– 1918م، تق: محمد محمود السروجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1986، ص 129.

[3]–توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 226.

لاشـك أن قضـية اليمن قد شـغلت الدولة العثمانية في مطلع القرن 20م عن كثير من القضـــايا الكبيرة التي كانت تهتم بها، والعمليات الحربية التي كانت فوق جبالها الشـــاهقة قد كلفت الدولة العثمانية الكثير من الرجال والمال.[1]

وما إن بلغت أخبار الهزائم الشـــنعاء، وما نزل بجيوش الدولة العثمانية من بلاء على أيدي قبائل عزل إلى الأستانة، أيقنت حكومة الاتحاديين أنه لا قدرة لها على استعمار اليمن وإخضـــاع أهله، فقررت في النهاية أن تفاوض الإمام يحي في عام 1911م، فوافق الإمام يحي على المفاوضـــات، وانتهت بعقد اتفاقية تتضـــمن قيام الإمام بالإشـــراف على شـــؤون القضـــاء والأوقاف، وتعيين الحكام والمرشـــدين،[2] وقد عرف هذا الاتفاق باسـم "اتفاق دعان" نسبة إلى المكان المنعقد فيه.[3]

والحق أن ذلك الاتفاق يحمل بين طياته جوهر وخلاصـــــة كل العروض والمطالب والحلول التي كانت تصـــبوا إليها اليمن، والجدير بالذكر أنه لم يفرض من الخارج، بل هو منبثق من أحداث اليمن الخاصة وتضمن هذا الاتفاق ثلاثة مواد أساسية:

– مواد عامة تعكس الرغبة الصـادقة في إصـلاح أحوال اليمن والقضـاء على أسـباب الاضطرابات والثورات.

– مواد تعترف بوضـــع الإمام وحقوقه، كحق انتخاب حكام المذهب الزيدي في جميع الهضاب.

– مواد تقرر تبعية ولاية اليمن للدولة العثمانية، كاحتفاظ الدولة العثمانية لنفســـها بحق التصديق على انتخاب الإمام للحكام والقضاة الزيديين وأحكام القضاء.[4]

---

[1]–فاروق عثمان أباضة، المرجع السابق، ص 166.

[2]–شرف الدين أحمد حسين، المرجع السابق، ص 269.

[3]–السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 94.

[4]–نفسه، ص 97–98.

رغم كل هذا إلا أن الدولة العثمانية كانت تخشى أن تعترف للإمام الزيدي بشيء من النفوذ في بلاده، لأنها كانت تتوقع أنه سوف يستغل هذا النفوذ تدريجيا ليتمكن في نهاية الأمر من تثبيت أقدامه وتدعيم سلطانه فينقلب على الدولة ويستقل ببلاده عن سيادتها،[1] وكل هذا الخوف سببه أن اليمنيين وحدهم بين العرب هم الذين لم يعترفوا لسلاطين بني عثمان بخلافة المسلمين بدعوى أنها يجب ألا تكون إلا لقريشي، وكان في صدورهم نزعة إلى الاستقلال وفخر الجنسية ونفور من بني ترك الذين أطلقوا عليهم اسم "الروم".[2]

ويرى فصيل من المؤرخين أن موقف أمراء شبه جزيرة العرب مثل: عبد العزيز آل سعود في نجد، ومبارك آل صباح في الكويت، والسيد محمد الإدريسي في عسير والشريف حسين بن علي في الحجاز من الأتراك كان معاديا، ظل الإمام يحي في اليمن مواليا للدولة العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى 1914- 1918م.[3]

والجدير بالذكر أن السلطات العثمانية ما زالت نواياها غير صادقة اتجاه اليمن واليمنيين، حيث أنها كانت تعد العدة ورتبت خطة محكمة لمهاجمة وغزو "عدن" لولا خبر الاتفاقية المنعقدة بفرنسا عام 1919م تحت اسم فيرساي Versailles بين بريطانيا وفرنسا من جهة والدولة العثمانية وألمانيا من جهة، والتي كانت تنص على تخلي تركيا على مناطقها في آسيا وإفريقيا، تليها صدور الأوامر من الأستانة بمغادرة القوات العثمانية إلى بلادها بطريق "عدن"، فانتهى بذلك عصر الاحتلال العثماني وتخلصت اليمن من عداء دام حقبة من الزمن.[4]

---

[1]-فاروق عثمان أباضة، المرجع السابق، ص 166.

[2]-توفيق علي برو، المرجع السابق، ص 227.

[3]-السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 98.

[4]-شرف الدين أحمد حسين، المرجع السابق، ص 275.

- الحجاز

كان العثمانيون بحاجة إلى الحجاز ليضيفوا على دولتهم رداءا إسلاميا، لذلك اهتموا بهذا القطر أكثر من غيره، وقد مكنهم افتتاح قناة السويس من تحصين المدن المقدسة وكذا تخطيط الخط الحديدي الحجازي.

فبعد سقوط السلطان عبد الحميد الثاني، أقدم خلفاءه من رجال جمعية تركيا الفتاة بإرسال الشريف حسن بن علي[1] حاكما على مكة،[2] رغم أنهم كانوا يميلون في بادئ الأمر إلى إعطاء إمارة مكة للشريف علي حيدر، ولكن هناك ظروف خاصة جعلتهم يختارون الشريف حسن بن علي رغم صداقته للسلطان عبد الحميد الثاني، ومن بين العوامل التي جعلتهم يولونه هذا المنصب مايلي:

- الوعود الكثيرة التي صار حسين يبذلها للدولة بمقاومته الأمراء الثائرين في عسير ونجد واليمن.

- حاجة الاتحاديين إلى أمير عربي قوي يبطش لهم بالمعارضين في شبه الجزيرة العربية.

- حاجة الحكومة المركزية في استانبول إلى أمير مكة لإنجاح مشروع سكة حديد الحجاز(انظر الملحق05) وحماية الخط الذي وصل إلى المدينة المنورة في 1908م من غارات البدو.[3]

---

[1] - الملك حسين بن على محمد عون القريشي الهاشمي، ينتهي نسبه الى الحسن ابن علي، وهو اخر من تولى الامارة بمكة في حكم الدولة العلية وأول من سمي ملك الحجاز، ولد سنة 1853م في الأستانة ثم انتقل مع ابيه الى مكة، وفي عام 1916م اعلن الثورة على الدولة العثمانية ، في عام1925رحل عن بلاده الى قبرص واتخذها مقاما له ، ثم سافر الى الأردن واقام بيها الى ان توفاه الله عام 1931م ، دفن في القدس بالمسجد الأقصى، انظر، زكي محمد مجاهد، الاعلام الشرقية، ج1،ط1،،دار الطباعة المصرية الحديثة القاهرة، مصر،1949،ص10,11

[2]- ت.أ لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ط1، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1963م، ص 18.

[3]-السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 125.

عند وصول الشريف حسين إلى جدة استقبله أشراف الحجاز ومشايخ القبائل، كما أن حزب الاتحاد والترقي بجدة شكل وفدا للسلام علي الشريف حسين برئاسة "عبد الله القاسم" الذي ألقى عليه التحية قائلا: "جئنا نرحب بالأمير الدستوري"، فرد عليه الشريف حسين قائلا: "حقا لقد حظيت بمقام أسلافي وآبائي... وأن هذه بلاد الله لا تقوم فيها غير شريعة الله المشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وقد كان هذا الرد صفعة في وجه الاتحاديين وبداية الخلاف بين الطرفين.[1]

والجدير بالذكر أن الشريف حسين لم يكن على وئام مع الاتحاديين لعدة أسباب رغم أنه خدمهم هو وأبناؤه في بادئ الأمر، إلا أن الاتحاديين كانوا يرون أنه يخدمهم لكي يخدم نفسه في الوقت ذاته، وأن صداقته لم تكن قط خالصة مبرأة من المطامع والمطامح الشخصية، حيث يقولون أنه ساعدهم في حرب عسير لكنه أراد ضم المناطق المستخلصة إلى الحجاز ويتولى إدارتها، كما قام بغزو نجد وأقنع الأمير السعودي بالاعتراف بسيادة السلطان إلا أنه في الوقت نفسه بسط نفوذه الشخصي على عدد من القبائل خارج الحجاز.[2]

والحق أن الشريف حسين حتى 1913م لا يزال يحرض القبائل خصوصا "عتيبة" على ابن سعود خدمة للاتحاديين، إلا أن علاقته بهم آخذة في التوتر بسبب سياستهم القائمة على المركزية الإدارية الصارمة، حيث أنها ألغت الامتيازات التي تمتعت بها إمارة مكة منذ القدم، فبدؤوا بالتدخل في شؤون الولايات، وراح أنصارهم في الحجاز يعملون على تقييد سلطة الشريف،[3] الذي كان يرى أنه قد ولي الإمارة حسب الشروط القديمة، أي أن الشريف يتولى إدارة الحجاز، ويعترف بسيادة السلطان، لكن الاتحاديون رأوا أن الحجاز ولاية من ولايات

---

[1]-عماد عبد العزيز يوسف: الحجاز في العهد العثماني 1876م-1918م، ط1، شركة الوراق للنشر، الأردن،2011-2014، ص 148.

[2]-سليمان موسى: الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924م، ط3، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1986م، ص 74، 75.

[3]-السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 126.

الدولة وعليها أن تخضـــع للقوانين والأنظمة التي تصـــدرها الحكومة المركزية، مثل الولايات العثمانية الأخرى.[1]

في ســـنة 1914م عين "وهيب بك" واليا على الحجاز، هذا الذي عرف بصـــرامته وقسوته، أتى للمنطقة يحمل معه تعليمات صريحة بإلغاء كل ما للحجاز من امتيازات محلية، وتطبيق القانون الجديد،[2] الذي أصـــدر في ربيع 1913م والقاضـــي بتنفيذ أحكام التجنيد الإجباري، فعارض الشـــريف حســـين هذا القانون قطعيا متحججا أن الحجاز بلد مقدس وله مكانته الخاصة.[3]

كما اتجهت نية الاتحاديين إلى مواصـلة تمديد خط سـكة الحديد من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، فقوبلت هاته النية أيضـا بالرفض التام من طرف الشريف حسين لأنه كان يرى بأن تمديد الخط الحديدي يقضـي على أسـباب المعيشـة لعدد كبير من سـكان الحجاز، لأنهم كانوا يؤجرون الجمال لنقل الحجاج وأمتعتهم بين المدينتين المقدستين.[4]

والجدير بالذكر أن أهل الحجاز في وقت مضـــى ما كانوا يدفعون الضـــرائب للحكومة بسـبب فقرهم وشـدة حاجتهم، كما كانوا يحكمون بنظام عرفي تواضـعوا عليه من زمن طويل لشـــريف مكة فيه المقام الأول، فلما قبض الاتحاديون على زمام الأمر في الدولة، اتجهت نيتهم إلى مقاومة الحركة العربية والتخلص من رجالها.[5]

أخذ وهيب بك والي الحجاز بالتدخل في القضـــايا الناشـــئة بين البدو، حيث كانت من صميم صـلاحيات الشريف، فكثر الهرج والمرج في البلاد، وتعالت أصوات التذمر والشكيات، وتزامنت هته الأحداث مع بداية الحرب العالمية الأولى 1914م، فأمر "طلعت بك" وزير

---

[1]–سليمان موسى، المرجع السابق، ص 75.

[2]–أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، مج*1*، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1997ص 60.

[3]–سليمان موسى، المرجع نفسه، ص 85.

[4]–سليمان موسى، نفسه، ص 85.

[5]–أمين سعيد، المرجع نفسه ، ص 60.

الداخلية بأن تؤجل عملية تمديد خط سكة الحديد ،كما طلب بإرسال متطوعين عرب للجهاد والمشاركة في الحرب، حيث قام الشريف حسين بنصحهم بعدم الخوض في غمار هته الحرب التي لا فائدة لهم فيها قائلا: "أنني لست بخائن حتى أشير على الدولة بأن تدخل هذه الحرب التي لا ناقة لها فيه ولا جمل" فكان رد الوالي العثماني على قوله هذا: "هي ورقة زرقاء نريد أن نقذف بها على ميز الميسر" الرد الذي جعل الشريف يهتف "أ بالأمة تقامرون؟!".[1]

فقد كانت سياسة الاتحاديين واستحقارهم للأمة العربية كفيلة بأن تجعل الشريف حسين ينقلب على الدولة العثمانية، كما اجتمعت عدة عوامل تحمله إعلان الثورة ضد الأتراك.

فمن الناحية الشخصية كان طموحه وآباءه يدفعان به إلى تحدي ممثلي السلطة التركية.

ومن الناحية القومية كانت أحكام الإعدام على نخبة من شباب العرب الذين كان الأمير فيصل أخا لهم وشريكا في كفاحهم، ألهبت ضميره وأثارت مشاعره، كما أثر في نفسه قرار أقطاب الحركة الوطنية في سورية بأن على الحجاز أن تتولى مبادئ الثورة وأن على الشريف حسين تولي قيادتها وزعامتها.[2]

ومن الناحية الدينية، تحريف الأتراك للشريعة الإسلامية، حيث كانوا يقولون بأن الشبيبة التركية لا تنكر الصوم والصلاة الحج والزكاة وكلمة الشهادة، ولكنها لا تعدها من أركان الدين،[3] كما كانوا يستذلون العرب وفي الحديث الشريف: إذا ذلت العرب ذل الإسلام.[4]

وصفوة القول أن كل هذه الأسباب دفعت بالشريف حسين أن يستعين على الدولة العثمانية ببريطانيا التي لوحت له بإمكانية منحه منصب الخلافة مقابل إعلانه الثورة على

---

[1]–سليمان موسى، المرجع سابق، ص 98.

[2]–قدري قلعجي: الثورة العربية الكبرى 1916–1925م، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1994م، ص 189.

[3]–أمين سعيد، المرجع السابق، ص 61.

[4]–قدري قلعجي، المصدرنفسه ، ص 190.

الأتراك،[1] وفي 10 جوان 1916م أعلن الشـريف حسـين بن علي عن بدأ الثورة التي بدأها بنفسـه بإطلاقه أول رصـاصـة من قصـره على ثكنة الترك، فكانت إعلانا لبداية الثورة العربية الكبرى،[2] التي خدمت إســـتراتيجية الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى، وانتهت في أكتوبر 1918م بتحرير الحجاز وبلاد الشام من الحكم العثماني.[3]

[1]–السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 127.

[2]–أمين سعيد، المرجع السابق، ص 147.

[3]–السيد رجب حراز، المرجع السابق، ص 127.

المبحث الثالث: الهلال الخصيب

الهلال الخصـيب مصـطل يطلق على القوس المتمثل في العراق (بلاد الرافدين) وبلاد الشام، وهو تعبير جغرافي قبل أن يكون سياسي،[1] وكانت أقطار الهلال الخصيب قد عانت من سياسة الحكم العثماني الجديد في استانبول، الذي سيطر عليه حزب الاتحاد والترقي بعد عزل السـلطان عبد الحميد الثاني عام 1909م وهو ما أدى ظهور النزعة القومية عند عرب الشام والعراق وغيرها في مواجهة سياسة التتريك العثمانية.[2]

لقد كان من نتائج تغيير النظام السـياسـي في الإمبراطورية العثمانية تقديم آمالا جديدة وكبيرة للحركة الصـهيونية، فقبل سقوط السلطان عبد الحميد الثاني كانت الحركة قد أصـابها اليأس من تحقيق برنامجها، وذلك نتيجة للمواقف الصـلبة التي وقفها هذا السـلطان لدرجة أن هرتزل حول نظره عن فلسطين، ولكن ما إن وصـلت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم حتى حضـا العمل الصـهيوني بخطوات إلى الأمام في فلسـطين، وخاصـة أن الانقلاب السـياسـي الدسـتوري عام 1908م وحادثة خلع السـلطات عبد الحميد سـنة 1909م قد تما بمسـاعدة يهودية.[3]

لقد قدمت جماعة الاتحاد والترقي التسهيلات اللازمة لليهود بغرض الهجرة إلى فلسطين والاسـتيطان فيها، حيث قامت بإعلان قانون الولايات الجديد الذي جاء متضـامنا مع حركة الاسـتيطان اليهودي، وأصـبح باسـتطاعة اليهود أن ينتخبوا عددا من الأعضـاء في مجلس

---

[1]–رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، المرجع السابق، ص 39.

[2]– نفسه، ص 54.

[3]–ابتسام أبو ميزر: سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطوية العثمانية (1909–1908م)، رسالة ماجستير، إشراف سليم تماري، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2017م، ص 119.

العموم داخل متصـــرفة القدس، الأمر الذي منحهم حرية كبيرة، فزادت الهجرة اليهودية، وقام اليهود بشراء قدر من الأراضي داخل متصرفة القدس.[1]

وهكذا تدفق اليهود على فلسطين بأعداد هائلة، حيث ارتفع عدد اليهود في فلسطين من (50.000) خمســين ألف عام 1898م إلى (85.000) خمســة وثمانين ألف عام 1914م، كما قام هؤلاء اليهود بسلب واغتصاب المزارع العربية، وازدادت هذه الحوادث منذ 28 نيسان من عام 1909م.[2]

وكان من بين أشـــد الإجراءات التي اتخذتها حكومة الاتحاديين إلغاء البطاقة الحمراء التي تعطى لليهود الذي يزورون الأراضي الفلسطينية أنظر ملحق رقم(02)، والذي استحدث في عهد الســـلطان عبد الحميد الثاني،[3] فهاجمت جريدة الكرمل الفلســـطينية الحكومة الاتحادية بعد هذا الإجراء وكتبت: "إن أمر إلغاء الورقة الحمراء والتســـريح للمهاجرين الإسـرائيليين بالدخول إلى فلسـطين والإقامة فيها، خطوة كبرى في سـبيل بلوغ الصـهيونيين أمانيهم وسيطرتهم على البلاد." [4]

وفي سنة 1914 ألغيت كل القيود التي فرضتها حكومة السلطان عبد الحميد الثاني في وجه الهجرة اليهودية، وفي وجه حق نقل ملكية الأراضي في فلسطين لليهود.[5]

لقد اســـتطاعت حكومة الاتحاد والترقي في بداية الأمر زرع الأحلام والأماني لأهل فلسـطين وللعرب أجمعين، ولكن مع انكشـاف التعاون الصـهيوني بينهما، وتهميش العنصـر

---

[1]–هيثم ياسر عيسى: التغيرات والتسهيلات التي حصل عليها اليهود في فلسطين في عهد الاتحاديين (1909–1914م)، مجلة نجوت الشرق الأوسط، العدد 44، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2018م، ص 294.

[2]–أحمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص 232.

[3]–سبقت الإشارة إليه في الصفحة 18.

[4]–هيثم ياسر عيسى،المرجع نفسه، ص 295، 296.

[5]–منير الهور، طارق الموسى: مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية (1947–1982م)، ط1، دار الجليل للنشر، عمان، الأردن، 1983م، ص 14.

العربي داخل الحكومة، ومحاولة فرض سياسة التتريك على العنصر العربي خوفا من انفصال العرب عن الدولة العثمانية،[1] قد بعث اليأس في قلوبهم.

عمل الاتحاديون على تكوين جمعية سموها "جمعية ترك أوجاغي" بمعنى العائلة التركية"، وكانت الغاية منها تتريك جميع العناصر في الدولة العثمانية، وقد قام رجال هذه الجمعية بإصدار كتب تخدم أفكارهم وأهدافهم، ومن بين هذه الكتب الكتاب الذي ألفه جلال نوري بك والموسوم "بتاريخ المستقبل" والذي جاء فيه: "إن المصلحة تقتضي على حكومة الأستانة إكراه السوريين على ترك أوطانهم، وإن بلاد العرب لاسيما العراق والتي يجب تحويلها إلى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين... يجب أن نحول جميع الأقطار العربية إلى أقطار تركية، لأن النشأ العربي الحديث صار يشعر بعصية جنسية، وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب أن نحتاط من الآن".[2]

وهكذا سارت جمعية الاتحاد والترقي في سياسة التتريك عاملة على صهر جميع العناصر في الدولة خاصة العنصر العربي منها في بوتقة واحدة، كما عملت على تقديم مختلف الدعم والتسهيلات لليهود للسيطرة على فلسطين من خلال الهجرة إليها والاستيطان فيها والاستيلاء على أراضيها.

ومما زاد الطين بلة وعجل بنهاية الدولة العثمانية، ونهاية الحكم العثماني على البلاد العربية، وسقوط هذه الأخير كضحية بيد الدول الغربية الاستعمارية، قرار قادة جماعة الاتحاد والترقي دخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط ألمانيا والنمسا.

لقد جر هذا القرار الأقطار العربية عام 1914م إلى تحمل أعباء الحرب العالمية الامبريالية، التي كان هدفها الرئيسي إعادة تقسيم مناطق النفوذ في العالم، وكان الكفاح من أجل الحياز على الأقطار العربية عاملا من عوامل هذه الحرب، إذ أرادت ألمانيا أن تثبت

---

[1]–هيثم ياسر عيسى، المرجع السابق، ص 289.

[2]–أحمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص 335.

أقدامها في ممتلكات السلطان التركي وتهدد المواقع الانجليزية في الشرق الأدنى، وطمعت فرنسا في اقتطاع سوريا وكيليكيا من الأتراك، أما الانجليز فكانوا يعملون على الاستيلاء على العراق وفلسطين وتثبيت أقادمهم كليا في مصر.[1]

وقد رسمت القيادة العامة العثمانية خطة بالاتفاق مع الألمان تقضي بالهجوم على الأعداء من ناحيتين، على الروس من ناحية قافقاسيا، وعلى الانجليز من ناحية صحراء سيناء وقناة السويس، وتبعا لهذه الخطة فقد تم إرسال الجنود العراقيين إلى جبهة قافقاسيا في ناحية أرضروم بهدف الهجوم على الروس، دون مراعاة الاختلافات بين العراق وهذه البلاد، فهما يمثلان قطبان متعاكسان من حيث المناخ، فبقدر ما كان العراق مشتهرا بالحر كانت أرضروم مشتهرة بالبرد، وبقدر ما كان العراق مسرحا للعواصف الرملية اللاهبة كانت أرضروم مسرحا للعواصف الثلجية المجمدة، ولهذا السبب مات الكثير من الجنود العراقيين قبل دخولهم ساحات القتال.[2]

فاتهم البعض القيادة العثمانية بعدم التبصرة في حين اتهمها البعض الآخر بالسعي لهلاك هؤلاء الجنود عمدا، كما أن هذا القرار قد ترك بموجبه العراق محروما من حامية قومية وهو ما سهل العمل على الجيش الانجليزي المتقدم نحو البصرة من ناحية الهند، وتمكنه من السيطرة على جنوب العراق، ثم صار يتقدم نحو الشمال شيئا فشيئا.[3]

كما اتخذت القيادة العثمانية العامة قرارا بحشد الجيوش في سوريا بغرض فتح مصر وطرد الانجليز منها،[4] وقد اختير جمال باشا العضو البارز في جمعية الاتحاد والترقي، ووزير البحرية في الدولة العثمانية ليقود الحملة على مصر، ومنح من السلطات العثمانية بحكم القانون العسكري ما أصبح بمقتضاه رئيسا للحكومة في بلاد الشام، وقائدا عاما

---

[1]–فلادميرلوتسكي، المرجع السابق، ص 436.

[2]–ساطع الحصري: محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مطبعة الرسالة، البيضا، ليبيا، 1951م، ص 211.

[3]– نفسه.

[4]– نفسه، ص 212.

للجيش، فوصل الشام في مطلع شهر ديسمبر 1914م واتخذ دمشق مقر لقيادته،[1] وقد وضع نصب عينيه هدفين نزع امتيازات جبل لبنان وحكمها حكم مباشر من قبل الباب العالي، والهدف الثاني هو ضرب أي نزعة قومية لدى العرب مع تتريك شامل لبلاد الشام.[2]

سار جمال باشا في بادئ الأمر على سياسة استمالة القلوب وجمع الكلمة، حيث أخذ يتكلم ويخطب في روابط الأخوة التي تربط العرب والترك، ويستحث همم الجميع لخدمة الغاية المقدسة التي تسعى الحكومة إلى تحقيقها بواسطة الجيش، إلا أن سياسة التود واستمالة القلوب لم تدم طويلا فبعد سنة من ذلك بدأ سياسة الإرهاب والاغتيال والنفي والتشريد والشنق.[3]

لقد كان جمال باشا واحد من ثالوث تركيا الفتاة،[4] ذو النزعة الطورانية الشديدة التي تجعله من أخطر الرجال على العرب، ويمكن اعتبار فترة حكمه من أحلك فترات الحكم العثماني في البلاد العربية، فتعيينه حاكما على سوريا كان نكبة تاريخية للعلاقات بين العرب والترك.[5]

حيث أعلن الأحكام العرفية في الولايات العربية، وأنهى مجالس الولايات والمحاكم المدينة، وقضى على الاستقلال الذاتي لجبل لبنان، وأبطل جميع الحقوق والامتيازات التي كانت تتمتع بها الطوائف الدينية المختلفة، وقمع الحركات التحررية العربية وانتهج سياسة التتريك الرجعية، وكافح بقسوة الثقافة العربية.[6]

---

[1]–جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص 234.

[2]–جمال باشا: مذكرات جمال باشا، ط1، إعداد محمد السعيدي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2013م، ص 09.

[3]–ساطع الحصري، محاضرات في نشوء القومية، المصدر السابق، ص 212.

[4]–فلادمير لوتسكي، المرجع السابق، ص 438.

[5]–الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288–1916م، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص 259.

[6]–فلاديمير لوتسكي، المرجع نفسه، ص 439.

وفي مطلع عام 1915 شرع في اتصالات سرية مع الفرنسيين بواسطة ضباط فرنسيين في بيروت، بهدف إنهاء الحرب ومساعدته على تولي إمارة بلاد الشام مستقلا منفردا بمعزل عن رفاقه الاتحاديين وعن القيادة في استانبول، إلا أن هذه المفاوضات لم تتم ولم يوافقوه على مستقبل المنطقة، ولم يقطعوا معه وعدا بل أردوه مجرد دمية.[1]

وفي نفس العام –1915م– قاد جمال باشا الجيش الرابع التركي لعبور قناة السويس ودخول مصر، إلا أن حملته هذه قد أخفقت وذلك بسبب سوء تسييره، فعاد من جهة سيناء، وهو يشعر بالذلة في قرار نفسه وأصبح طبعه احد من ذي قبل.[2]

فوافق على طلب أنور باشا بإرسال القوات العربية المرابطة في سوريا إلى جبهة الدردنيل، وعمل على إحلال قوات عثمانية أخرى بقيادة ضباط من الأتراك مكانها، مما ترك في نفوس العرب أثرا بالغا،[3] ثم التفت إلى زعماء الحركة الوطنية فعرضهم لشتى أنواع التنكيل والمتابعة والتصفية الجسدية، من خلال نصب المشانق وتعليق الأحرار عليها، مستندا إلى الوثائق التي عثر عليها في دار القنصليات الفرنسية ببيروت[4] ودمشق،[5] حيث كون محكمة عسكرية بلبنان لمحاكمتهم، هذه الأخيرة التي أصدرت حكما بإعدام ثلاثة عشر من الموجودين في البلاد، وبإعدام خمس وأربعين من الموجودين في الخارج غيابيا، أما الباقون فقد حكم عليهم بين السجن المؤبد والنفي.

---

[1]–جمال باشا، المصدر السابق، ص 09.

[2]–جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص 278.

[3]–الغالي غربي، المرجع السابق، ص 259.

[4]–جلال يحي المرجع السابق، ص 450.

[5]–الغالي غربي، المرجع نفسه، ص 259.

ثم نفذ جمال باشا حكم الإعدام[1] في إحدى عشر من بين الثلاثة عشر، وذلك في يوم 21 أغسطس سنة 1915م في ميدان الحرية ببيروت.[2]

ولم يكتف بهذا بل قام بتشريد حوالي (300) أسرة عربية من مدن سورية ولبنان ووزعها على مدن الأناضول لزرع الرعب والهلع في نفوس من تسول له نفسه التفكير في التمرد على الحكم التركي،[3] هذا بالإضافة إلى الحالة الاقتصادية الكارثية، فالاقتصاد في بلاد الشام لم يتحمل محن الحرب، وتحت شعار الضرورة العسكرية شرعت السلطات التركية في نهب السكان بصورة مباشرة، وجرت مصادرة شاملة للمواشي والمواد الغذائية الخاصة بالفلاحين، وفي سنة 1915م تمت مصادرة تسعة أعشار محاصيل الحبوب في سوريا ولبنان، وفي كل مكان قطعت الأشجار للوقود بما فيها الأشجار المثمرة.[4]

وفي سنة 1916م اجتاحت المجاعة البلاد ففي لبنان تلاشت قرى كاملة، ونقص سكان بعضها الآخر إلى أقل من النصف، ولا ريب في أن (300000) لقوا حتفهم في سورية جوعا خلال الحرب، وخير تعبير على ذلك ما كتبته "صحيفة التايمز" في الثاني عشر من أغسطس بقلم محايد غادر سوريا قبل ذلك التاريخ: "إن حال أهالي سوريا مما لا يكاد يصدق... هناك

---

[1]-القافلة الأولى أعدموا شنقا في أغسطس 1915 وشملت : عبد الكريم خليل، محمد المحمصاني، محمود المحمصاني، نور الدين القاضي، صالح حيدر، عبد القادر الخرس، علي الأرمنازي، سليم عبد الهادي، محمود العجم، نايف تللو، محمد مسلم عابدين.

القافلة الثانية: أعدموا يوم 6 مايو 1916: شفيق المؤيد، عمر الجزائري، عبد الحميد الزهراوي، شكري العسلي، عبد الوهاب الإنكيزي، رشدي الشمعة، رفيق رزق سلوم، عمر حمد، محمد حسني، الشنقيطي، عارف الشهابي، توفيق البساط، سيف الدين الخطيب، سعيد عقل، جرجي حداد، سليم الجزائري، جلال البخاري... وغيرهم، أنظر: موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص 333، ينظر الملحق رقم (06).

[2]–جلال يحي، المرجع السابق، ص 541.

[3]–الغالي غربي، المرجع السابق، ص 259.

[4]–فلاديمير لوتسكي، المرجع السابق، ص 438.

يتعرض المســـلمون الناطقون بالعربية لإرهاب جديد، ويقدر عدد الذين عليهم المجاعة في شمالي سوريا بين الستين ألفا والثمانين...." [1]

لم ينته هذا العهد الدكتاتوري إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وهزيمة ألمانيا والدولة العثمانية، حيث ســيطرت جيوش الحلفاء مع الجيش العربي على بغداد، وحينئذ حلت لجنة الاتحاد والترقي نفسها وهرب زعمائها إلى الخارج.[2]

وفي الوقت الذي كانت فيه الجيوش المعادية للدولة العثمانية تسقط بغداد، وتدك معاقل غزة والقدس في فلســطين كانت الخطط والمعاهدات تتم معاكســة للمصــالح العربية، وتحاك لاقتسام ممتلكات الدولة الآيلة إلى الانهيار.[3]

حيث تقاسمت الدول الظافرة أمصارها لقمة صائغة باسم انتداب واحتلال، توهم فيه أن شكل الحكم هذا يؤدي إلى أن يتعلم أهل البلاد حكمها بأنفسهم، ففتحت بهذا صفحات جديدة في تاريخ المشرق كانت كلها سوداء، وكتب على شعوب هذه البلاد أن يعيشوا في نضال وكفاح مع أولئك المحتلين الغاصبين، من فرنسيين وانجليز.[4]

---

[1]–جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص 300، 345.

[2]–أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 276.

[3]–جمال باشا، المصدر السابق، ص 32.

[4]–محمد بديع الشريف، زكي المحاسني، الدكتور عزت عبد الكريم: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، مراجعة محمد شفيق غربال، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، ص 378.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع سياسة الاتحاد والترقي في البلاد العربية (1908-1918م)، توصلنا للعديد من الاستنتاجات، والتي نجملها في النقاط التالية:

- رغم الظروف الصعبة والمؤامرات المحكمة التي وصل في ظلها السلطان عبد الحميد لحكم الإمبراطورية العثمانية، فإنه عمل على المحافظة على وحدة هذه الإمبراطورية وترابطها، وانتهج سياسة قائمة على إحكام الصلة بين العرب والأتراك، وعمل على كسب ود العرب كونهم يمثلون جزء مهم من إمبراطورتيه فعينهم في مناصب عالية في الدولة وأهتم بشؤون حياتهم وعمارة مساجدهم، كما مد خط سكة الحديد "الحجاز" لربط بلادهم بالعاصمة إستانبول.

وجاء بفكرة الجامعة الإسلامية بهدف توحيد المسلمين في كافة ربوع الإمبراطورية، لتصبح درعا واقيا من هجمات الصليبين، وأفكار الماسونيين، واستحدث سلاح الخلافة لتقوية مركزه وسلطانه كخليفة للمسلمين، وليتحدى به الأطماع الأجنبية.

ولعل أبرز وأهم موقف وقفه السلطان عبد الحميد الثاني في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية هو رفضه المساومة على أرض فلسطين ورفضه التفريط في أي شبر منها، رغم المتاعب السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية إبان تلك الفترة، والتي استغلتها الصهيونية أبشع استغلال لتنفيذ وعيدها له بإسقاطه عن عرشه عندما لم يتجاوب مع الوعود والإغراءات والمساومات الصهيونية.

لكن بعد ثورة تركيا الفتاة وتأسيس جمعية الاتحاد والترقي، فتحت الأبواب أمام الطوفان القومي الذي تدفق إلى الدولة العثمانية، بدأت تطورات وتغيرات تطرأ على النظام القديم الطويل الأمد، الذي كُسر على يد المثقفين في الدولة حيث استبدلوا الموروث القديم بمخططات جديدة مختومة بطوابع فكرية، قومية علمانية، فانتشرت هاته الأفكار والسياسة إلى ولايات الدولة خاصة العربية منها.

وكان نتاج ذلك نكبة الإمبراطورية العثمانية نكبة كبرى، من جراء حكم جماعة الإتحاد والترقي التي حاولت تحدي العرب في لغتهم وعملت على تتريكهم كما حاولوا بسط نفوذهم عن طريق القوة ضد أحرار العرب، الذين وقفوا في وجه حملة التتريك هذه فنصبت المشانق وأعدم وجهاء في سوريا ولبنان، لا شيء إلا لأنهم دافعوا عن حق العرب بأن تكون لغتهم هي السائدة في بلادهم إلى جانب اللغة التركية.

ومما زاد الوضع تأزما قرار قادة الاتحاد والترقي دخول الحرب العالمية الأولى، حرب لا ناقة ولا جمل لهم فيها، هذه الحرب التي ما كادت تنتهي حتى أبتلي العرب بمستعمرين جدد جزءوا ما تبقى من الوطن العربي من خلال مؤامرات أنجلو فرنسية مزقت الإمبراطورية، وغرسوا في جسم الوطن العربي خنجر غدر ومكر في قلب الأمة العربية والإسلامية "فلسطين"، فضاعت بلاد الهلال الخصب كما قد ضاعت ليبيا قبلها وبسط عليها الطليان سيطرتهم من جراء تواطئ وتهاون هذه الشرذمة، فتبعثرت هذه الإمبراطورية التي كانت في طريق التمدن وتمزقت فجأة إلى أشلاء في السنوات التسع التي حكمت فيها جماعة الإتحاد والترقي بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني.

الملاحق

الملحق رقم (01): صورة السلطان عبد الحميد الثاني[1]

[1]– شكيب أرسلان، الدولة العثمانية، مصدر سابق، ص 867.

الملحق رقم (02)[1]:

تعريب الجواز الاحمر الذي كان يفرض على اليهود الاجانب ان يستلموه لدى زيارتهم فلسطين بدل جواز سفرهم تبعاً للقوانين العثمانية التي صدرت عام ١٩٠٠ [١].

تذكرة إقامة تعطى للأجانب من قبل كومسيون يافا لمنع المهاجرين الموسويين (اليهود) وتحديد وتعيين مـــدة إقامتهم بثلاثة شهور . ويعمل بها ويحتفظ بها وبعد انقضاء هذه المدة يعتبروا ساقطين من الحكم المعمول به .

الاسم والشهرة	الأوصاف والأشكال والعلامات الفارقة	الصنعة والتابعية	محل الورود	المقصد السياحي	رقم حامل جواز السفر وتاريخه واسم مكان اعطائه الاقامة	تذكرة مرور الحامل للجواز وتاريخ ورقم مكان الاعطاء	مدة السياحة والاقامة شهر	معاملات
شوان بن سالمون	متوسط رفيع حنطي شعره يتخلله شيب عمره ٥١ سنة	تاجر – من المانيا	جنوه	تجارة	١٩ حزيران ١٩١٤ – جنوه مدينة بن وما جاورها	//	ثلاثة شهور	ان حامل الجواز المبين اعلاه والمرقم والمؤرخ يسلم له بالذات حين عودته وقد افهم ذلك علناً

عندما تطلب هذه التذكرة من قبل مأموري الانضباط ستبرز ويعمل بها لمدة ثلاثة شهور للاقامة والسياحة في داخل أرض فلسطين . وفي نهاية هذه المدة سيُجبر الذين لم يغادروا فلسطين على الخروج بالقوة.

في ١٨ ربيع الأول سنة ٣١٩ – في ٢٢ حزيران سنة ١٩١٠ .

احمد حبيب من قبل رئيس مالية المرفأ .

[1]– حسان علي الحلاق، المرجع السابق، ص 109.

الملحق رقم 03: الطلاب العسكرية [1]

الجنود العثمانيون الذين يحملون اللواء

الطلاب العسكريون

[1]– صالح كولن، عبرات العثمانيين بطولات وتضحيات، دار النيل للطباعة والنشر، ط1، 2013، ص 143.

الملحق رقم 04: رسم تعبيري عن ثورة تركيا الفتاة[1]

[1]– قيس جواد العزاوي، مرجع سابق، صفحة الواجهة.

الملحق رقم (05): سكة حديد الحجاز 1908-1914م [1]

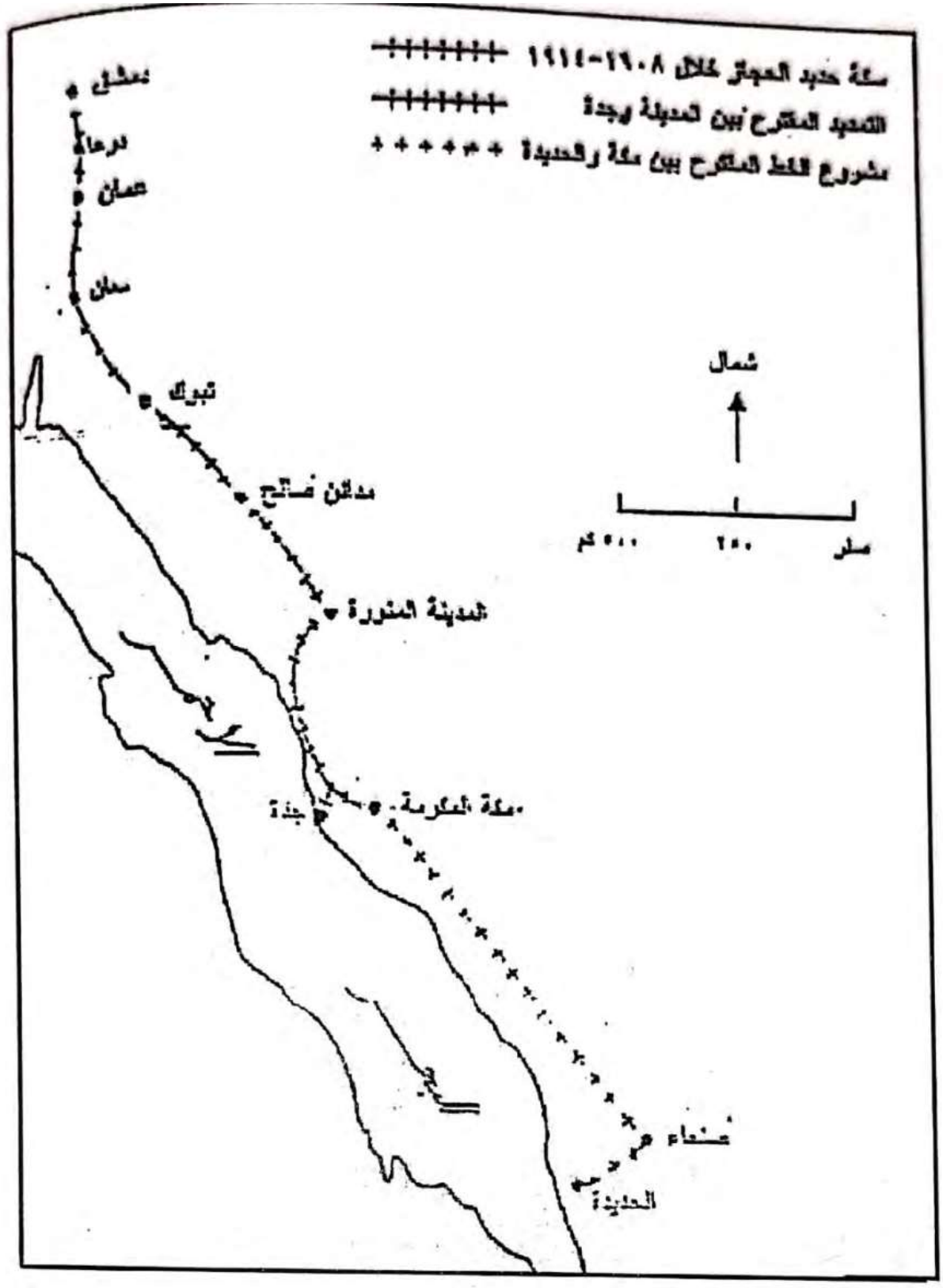

[1]- عماد عبد العزيز يوسف، المرجع السابق، ص254.

الملحق رقم 06: صورة فريق من شهداء العرب[1]

[1]– أمين سعيد، المصدر السابق، ص 92.

قائمة المصادر والمراجع

القرآنالكريم.

المصادر:

1. الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط3، دار ف المحدودة، لندن، المملكة المتحدة، 1984
2. يلمازأوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة محمود الأنصاري، مج1، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، 1988م.
3. أنور باشا، مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب، تر وتق: عبد المولى صالح الحيرر، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس، ليبيا، 1979.
4. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: بنيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968.
5. ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1960م.
6. ساطع الحصري: محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مطبعة الرسالة، البيضا، ليبيا، 1951م.
7. أنيس صايغ، يوميات هرتزل، تر: هلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1968م.
8. ت.أ لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ط1، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1963م.
9. مصطفى طوران، أسرار الإنقلاب العثماني، تر: كمال خوجة، ط4، دار السلام، بيروت، لبنان، 1985م.
10. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981م.

11. جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، ط2، دار العلم، بيروت، لبنان، 1987م.
12. روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992م.
13. فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد، عبد الكريم رافيق، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
14. محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ط3، دار القلم، دمشق، سوريا، 1991م.
15. محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1990م.
16. السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1979
17. خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم محمد حداد، مكتبة الاسكندرية، مصر، 2011م.
18. شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تح :حسنالسماحي سويداني، ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، م2011.
19. شكيبب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجان نويهض، المجلد1، دار الفكر.
20. سليمان البستاني: الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، دن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
21. روحي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، دن ,مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة 2012.

22. رارنستأرامزور: تركيا الفتاة وثورة 1908م، تر, صالح أحمد العلي، تق, نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1960م.
23. أنور الجندي: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ط1، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987م.
24. عبد الرحمان الكواكبي، أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1931م
25. زكي محمد مجاهد، الاعلام الشرقية، ج1، ط1، ، دار الطباعة المصرية الحديثة القاهرة، مصر، 1949
26. علي حسون تاريخ الدولة العثمانية، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1992م.
27. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط10، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان
28. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج7، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1994م-401.
29. عبد العزيز العظمة: مرآة الشام تاريخ دمشق وأهلها، تحقيق نجدت فتحي صفوة، رياض الرئيس للكتب والنشر.
30. عزرا سمويلساسون، مذكرات مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقي، مطبعة جرجي غرزوزي، الاسكندرية، 1910م، ص من 4 حتى 8.
31. أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، مج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1997
32. جمال باشا: مذكرات جمال باشا، ط1، إعداد محمد السعيدي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2013م.

المراجع:

1. أباضـــة فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن 1872- 1918م، تق: محمد محمود السروجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1986.
2. أوزدمير حسـين، فلسـطين في العهد العثماني وصـرخة السـلطان عبد الحميد، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2013م.
3. برو توفيق علي، العرب والترك في العهد الدســـتوري العثماني (1908-1914)، معهد الدراسات العربية العالمية، دار الهنا، 1960م.
4. بني المرجة موفق، صحوة الرجل المريض، مطابع دار الأبناء، الكويت، 1984م.
5. بيوميزكرياء ســـليمان، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين التحالف الصـــليبي الماســـوني الاستعماري وضرب الاتجاه الإسلامي، ط1، عالم المعرفة، 1991م.
6. التل عبد الله، الأفعى اليهودية في معاقل الإســـلام، ط2، المكتب الإســـلامي، بيروت، لبنان.
7. الحبشي محمد عمر، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، تر: خليل أحمد خليل، ط1، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1968.
8. حراز السـيد رجب، الدولة العثمانية وشـبه جزيرة العرب، 1909، دن, المطبعة العالمية، القاهرة، 1970م.
9. حران تاج السر أحمد، حاضـر العالم الإسـلامي، ط1، اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2001م.
10. حسين شرف الدين أحمد، اليمن عبر التاريخ دراسة جغرافية تاريخية، سياسية شاملة، ط2، مطبعة السنة المحمدية- عابدين، مصر، 1964.
11. حســـينةحاميد: المســـألة الشـــرقية، مطبوعة جامعية، جامعة الحاج لخضـــر باتنة، الجزائر، 2013/2012م.

12. الحلاق حسان علي، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909)، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
13. حلمي مصطفى، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن الجوزي، مصر، 2005.
14. الخالدي محمد فاروق، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، ط1، دار الراوي، المملكة العربية السعودية، 2000م.
15. الخراشيسليمان بن صالح، كيف سقطت الدولة العثمانية؟، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1999م.
16. خوري فيليب، أعيان المدن والقومية العربية، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1993م.
17. درويش هدى: حقيقة يهود الدونمة في تركيا "وثائق جديدة"، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003م.
18. الدقن السيد محمد، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
19. الدوري اسماعيل نوري، محمد شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، جامعة تكريت، 2009.
20. زغروتفتحي، النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، ط1، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، 2009م.
21. الشريف محمد بديع، المحاسني زكي، عبد الكريم عزت، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، مراجعة محمد شفيق غربال، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر.
22. الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهر، مصر، م2004.

23. الشيخ رأفت، تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، محافظة الجيزة، مصر، 1996.

24. الشـــيخ رأفت، تطور التعليم في ليبيا في العصـــور الحديثة، ط1، دار التنمية للنشـــر والتوزيع، مصر، 1972

25. صـــلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأســـباب الســـقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2001م.

26. الصـــلابي علي محمد، الســـلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإســـلامية، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان 2010م.

27. صلابي علي محمد، السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية، المرجع السابق.

28. عبد القادر محمد الخير، نكبة الأمة العربية بســـقوط الخلافة العثمانية، ط1، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي، 1985م، عابدين، مصر.

29. عبد نادية ياســـين، الاتحاديون دراســـة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن 19م، ط1، دار ومكتبة عدنان,سوريا,دمشق,2014م

30. العزاوي قيس جواد، الدولة العثمانية من الخلافة إلى الانقلاب 1908م-1913م، تر: عاصم عبد ربه، ط1، المركز القومية للترجمة، القاهرة، 2017م.

31. غربي الغالي، دراســـات في تاريخ الدولة العثمانية والمشـــرق العربي 1288-1916م، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

32. قلعجي قدري، الثورة العربية الكبرى 1916-1925م، ط2، شـــركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1994م.

33. الكواكبي عبد الرحمان: أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1931م.

34. كولن صـالح، عبرات العثمانيين بطولات وتضـحيات، دار النيل للطباعة والنشـر، ط1، 2013.

35. لوتســـكي فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، تر: عفيفة البســـتاني، ط8، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1985

36. مصـطفى أحمد عبد الرحيم، في أصـول التاريخ العثماني، ط2، دار الشـروق، القاهرة، مصر.

37. منيرالهور، الموسـى طارق، مشـاريع التسـوية للقضـية الفلسـطينية (1947-1982م)، ط1، دار الجليل للنشر، عمان، الأردن، 1983م.

38. موســـى ســـليمان، الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضـــة العربية الحديثة 1908-1924م، ط3، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1986م

39. النتشة رفيق شاكر، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، م1991.

40. الندوي أبو الحســن علي الحســين، الصــراع بين الفكرة الإســلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط 1، دار القلم، الكويت، 1983م.

41. النعيمي أحمد نوري، اليهود والدولة العثمانية، ط1، مؤسـسـة الرسـالة، بيروت، لبنان، 1997.

42. نوار عبد العزيز سلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، دن، دار النهضـة، بيروت، لبنان، 1973

43. النوري عبد المنصـف حافظ، الغزو الإيطالي لليبيا، دراسـة في العلاقات الدولية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 1983.

44. هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشـرين، ط2، مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

45. ياغي إسـماعيل أحمد، الجذور التاريخية للقضـية الفلسـطينية، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1983م

46. ياغي اســـماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1996م.

47. يحي جلال مدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، مصـــــر، 1965م.

48. يوسـف عماد عبد العزيز، الحجاز في العهد العثماني 1876م-1918م، ط1، شـركة الوراق للنشر، الأردن، 2011-2014.

المذكرات:

1. أبوميزر ابتســام، ســنتان مفصــليتان في حكم الإمبراطوية العثمانية (1909-1908م)، رسالة ماجستير، إشراف سليم تماري، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2017م.

2. الســليمي هيلة بنت ســعد بن محمد، دور اليهود في إســقاط الدولة العثمانية، رســالة ماجســتير، إشــراف يوســف بن علي بن رابح الثقفي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 2001م.

3. سـميرةبوزبوحة، الطريقة السـنوسـية 1911-1951م مواقفها من قضـايا العصـر محليا-إقليميا-دوليا، أطروحة دكتوراه، إشـــراف فغرور دحو، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، الجزائر، 2018.

4. عمر يوسف حسين يوسف، أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)، رسالة ماجستير، إشراف وليد العريض، جامعة اليرموك، الأردن، 2000م.

5. لزعر نبيل، المســـألة الليبية بين موازين القوى الدولية وردود الفعل الوطنية 1911-1969، أطروحة دكتوراه، إشـــراف: بودواية مبخوت، جامعة أبي بكربلقايد، تلمســـان، الجزائر، 2020.

المجلات والدوريات:

1. أرستردنجه.س، الذئب الأغبر مصطفى كمال، دار الهلال-سلسلة شهرية، العدد 16.

2. خليل خالد، العرب والترك، تر: عمر رضا، مطبعة الهداية، مصر.
3. عبد المصـــلح محمد وليد، موقف الدولة العثمانية من الغزو الإيطالي (لليبيا)، مجلة آداب الرافدين، العدد 81، جامعة الموصل، العراق، 2002.
4. عيسى هيثم ياسر: التغيرات والتسهيلات التي حصل عليها اليهود في فلسطين في عهد الاتحاديين (1909-1914م)، مجلة نجوت الشرق الأوسط، العدد 44، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2018م.
5. الغامدي سعيد سعد سفر: موقف العلماء والمفكرين في الدولة العثمانية من جمعية الاتحاد والترقي، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصـــر، العدد 17، أفريل 1997م.
6. غربي الحواس، مقدمات الاحتلال الإيطالي لليبيا 1911 بناء التحالفات الدولية، مجلة المعارف للبحوث والدراســـات التاريخية، العدد 12، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر.
7. هويدي مصطفى على، إيطاليا وفكرة احتلال ليبيا، مجلة كلية الآداب، العدد25، دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلام، 2018.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة 1

الفصل الأول: سياسة السلطان عبد الحميد تجاه العرب والبلاد العربية (1876-1908م)

المبحث الأول: تقريب العرب والعمل على توطيد سيادة الدولة في البلاد العربية..... 6

المبحث الثاني: مشروع الجامعة الإسلامية وسلاح الخلافة..... 12

المبحث الثالث: التصدي للهجرة اليهودية والخطط الصهيونية..... 16

الفصل الثاني: جمعية الاتحاد والترقي انقلابها على الحكم وتبنيها القومية الطوارنية

المبحث الأول: نشأة وجذور جمعية الاتحاد والترقي..... 26

المبحث الثاني: الانقلاب العثماني وإعلان الدستور..... 35

المبحث الثالث: سياسة التتريك وتبني القومية الطورانية..... 40

الفصل الثالث: تداعيات حكم جماعة الاتحاد والترقي على البلاد العربية العثمانية

المبحث الأول: طرابلس الغرب (ليبيا)..... 52

المبحث الثاني: بلاد اليمن والحجاز 62

المبحث الثالث: الهلال الخصيب..... 71

خاتمة..... 80

الملاحق..... 83

قائمة المصادر والمراجع..... 90

الملخص:

تناولت هذه الدراسة سياسةالاتحاد والترقي في البلاد العربية (1908م_1918م) في بدايتها درسنا سياسة السلطان عبد الحميد الثاني تجاه العرب والبلاد العربية،ومجهوداته للحفاظ على وحدة هاته البلاد، وتوثيق رابطتها بالدولة العثمانية من خلال تقريب العرب وتعيينهم في مناصب الدولة المختلفة، وانشاء المدارس ومد خطوط السكك الحديدية،بالإضافة لاستحداثه مشروع الجامعة الإسلامية وسلاح الخلافة،ورفضه المساومة على ارض فلسطين وهذا ماكلفه خسارة عرشه، من خلال تأمر الصهيونية مع جماعة الاتحاد والترقي فعزلوه، هاته الأخيرة التي جاءت بأفكار إصلاحية أوروبية، حيث أقاموا الدستور وانقلبوا على السلطان وازاحوه عن عرشه ،فسيروا البلاد بمخططاتهم الغربية التي طغت عليها نزعة قومية ' ومارسوا سياسة التتريك حيث اثارت هاته السياسة النزعة القومية العربية، فكان نتاج ذلك اعلان الثورة العربية الكبرى 1916م، فانفصلت البلاد العربية عن الخلافة العثمانية وتقطعت أوصالها بين الدول الغربية الاستعمارية وصارت مستعمرات أوروبية،

الكلماتالمفتاحية:الدولة العثمانية، البلاد العربية، السلطان عبد الحميد الثاني، تركيا الفتاة، الدستور، سياسة التتريك.

Résumé:

This study examined the Union's policy and promotion in Arab countries (1908 _ 1918) At the beginning, we studied Sultan Abdul Hamid II's policy towards Arabs and Arab countries. and his efforts to preserve the unity of this country and to document its association with the Ottoman Empire by bringing Arabs closer together and appointing them to various State positions and the establishment of schools and the extension of railway lines, as well as the development of the Islamic University and Caliphate Weapons Project and his refusal to compromise the land of Palestine, which cost him the loss of his throne, By ordering Zionism with the Union and Advancement group to isolate it, the latter of which came with European reformist ideas, They established the Constitution and turned on the Sultan and dislodged him from his throne.They went to the country with their Western schemes, which were dominated by a nationalism ", and practised the policy of Trek, where this policy provoked Arab nationalism, The result of this was the proclamation of the Great Arab Revolution 1916, which separated the Arab country from the Ottoman caliphate and severed it from the colonial Western countries and became European colonies.

Keywords: Ottoman Empire, Arab Country, Sultan Abdul Hamid II, Turkey Girl, Constitution, Trailing Policy.

بسم الله الرحمن الرحيم